بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية التربية

قسم الأساس

عبد الله الطيب شاعراً وناقداً وتربوياً

بحث تكميلي مقدم لنيـــــل درجةالبكلاريوس في التربية

إعداد الطالبات :

1. **اقسام علي أحمد علي**
2. **براءة صلاح الدين الطيب**
3. **لواحظ محمد حاج علي العقيد**
4. **نسرين أسامة الحاج الهاشمـــي**

إشراف :

د/ الصديق عمر صديق

د/ أيمن سلطان

2016م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

الآيـة

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)

سورة العلق الأية : 1- 5

الإهـــــــــــــداء

إلى من أرضعتني الحب والحنان
إلى رمز الحب وبلسم الشفاء
إلى القلب الناصع بالبياض
والدتي الحبيبة
إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب
إلى منكلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة
إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم
إلى القلب الكبير
والدي العزيز
إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي
اخواني
إلى الأرواح التي سكنت تحت تراب الوطن الحبيب
الشهداء العظام
الآن تفتح الأشرعة وترفع المرساة لتنطلق السفينة في عرض بحر واسع مظلم هو بحر الحياة وفي هذه الظلمة لا يضيء إلا قنديل الذكريات ذكريات الأخوة البعيدة إلى الذين أحببتهم وأحبونا
أصدقائي
إليكم جميعاً نهدي هذا العمل

الشكر و العرفان

أشكر الله العلي القدير الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدين. القائل في محكم التنزيل " **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ** "**سورة يوسف آية 76** ....صدق الله العظيم.

وقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم":**(من صنع إليكم معروفاً فكافئوه, فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه) .....** "رواه أبو داوود

أثنى ثناء حسناً ووفاءً وتقديراً واعترافاً منا بالجميل نتقدم بجزيل الشكر لأولئك المخلصين الذين لم يألوا جهداً في مساعدتنا في مجال البحث العلمي، وأخص بالذكر **الدكتور الفاضل: أيمن سلطان** على هذه الدراسة وصاحب الفضل في توجيهنا ومساعدتنا في تجميع المادة البحثية، فجزاه الله كل خير.

ولا أنسي أن أتقدم بجزيل الشكر إلي **الدكتور الصديق عمر الصديق** الذي قام بتوجيهنا طيلة هذه الدراسة

وأخيراً , نتقدم بجزيل شكرنا إلي كل من مدوا لنا يد العون والمساعدة في إخراج هذا البحث علي أكمل وجه.

ملخص البحث

هدف هذا البحث إلي:التعرف علي شخصية عبدالله الطيب و شعره ، ونقده ، وآرائه التربوية وبيان الدور الذي قام به عبدالله الطيب في مجال التربية والنقد.

استخدم الباحثون في هذا البحث منهجين هما:

المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي فكان الباحثون يأتون بالموقف التاريخي من المصدر او المرجع ثم يقومون بوصفه وتحليله واستخلاص المواقف منه.

واشتملت هذه البحث علي أربعة فصول وكل فصل مقسم إلي عدد من المباحث فيما يلي بيانها:

الفصل الأول:تناول الإطار العام البحث

الفصل الثاني:تناول نشأة وحياة عبدالله الطيب العلمية والعملية

الفصل الثالثتحدث عن عبدالله الطيب شاعراً وناقداًوتربوياً

الفصل الرابع والأخير فقد اشتعمل علي :نتائج البحث والتوصيات والخاتمة.

وقد توصلت البحث إلي العديد من النتائج منها:

1. يسلك عبدالله الطيب في سلك النقاد الشعراء أو الشعراء النقاد كابن المعتز وابن طباطبا وعباس العقاد وأدونيس وكل هؤلاء سايق أشعارهم نقدهم.
2. كان لعبد الله الطيب دأب في الدرس النقدي الشامل لتراث الشعر العربي
3. إن الأديب عبدالله الطيب شاعرٌ شبه فحول الشعراء الحاصلين بالاهتمام بالغريب النادر من الديار ومراجع الأيلز

4.دعا عبدالله الطيب إلي ضرورة الاهتمام بالناشئ المسلم وبداية تعلمه من سن الخامسة القرآن وبعض علوم الدين والعربية ؛لأن القرآن هو الأساس لكل العلوم الأخري

5.يعتبر التربية من الوسائل الفعالة في الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي وفي المحافظة علي شخصية الأمة وكيانها.

Abstract

This study aimed to: identify the personal Abdullah Tayeb and his critique and his hair and educational Alaraeh him and the statement of the role played by Abdullah Al-Tayeb in the field of education and criticism.

The researchers used in this study are Menhjan:

Historical method and descriptive analytical method, the researchers come was the historical position of the source or reference then they as analysis and Aastkhalas attitudes of it.

The study consisted of four chapters and each chapter is divided into a number of detectives with the following statement:

Chapter One: Eat the general framework of the study

Chapter Two: eat the origins and life of Abdullah Tayeb scientific and practical

Chapter III: Abdullah talked about the good poet and Nakedoterbuya

Chapter IV and the latter has Astaml Ali: The results of the study and the recommendations and conclusion.

The study found many of the results, including:

1. exhibits Abdullah Tayeb wire critics or poets, poets, critics and the son of a son Moataz Tabataba and Abbas Akkad and Adonis and all those former poetry criticism.

2. Abdullah was consistently good in the monetary destruction of the heritage of Arabic poetry lesson

3. The writer Abdullah Tayeb poet semi stallions poets holding the attention of a stranger is rare and references Diyar Aloalz

4.daa Abdullah Tayeb to the need to focus on the Muslim Balnaci and the beginning of the age of five he learned the Koran and some Arab religion and science because the Koran is the basis for all other sciences

5. Itbr education from active participation in the social and moral reform and in the preservation of the character of the nation and its existence means.

مقدمة :

يسرنا أن اقدم هذه الدراسة لحياة الأديب عبد الله الطيب وشعره و نقده وبعض آرائه التربوية لقد كان الأديب رمزاً في القرن المنصرم للأصالة التي لم يطا في ثباتها كل ريح التقليد وكل مجالات الأدب والثقافة والفن وأساليب الحياة وكان رحمة الله عليه رمزاً يعني به من أهم الرموز التي دافعت عن الحضارة الإسلامية من اباطيل تثير نحوها .

وكان عبد الله الطيب محاضراً أحبه تلاميذة ويعتبر واحدا من أهم الشخصيات السودانية وأوسعهم قبولاً لدى العامة من الناس .

وقد تحدث في السيرة النبوية اي عبد الله الطيب ملمة في البيان والحفظ فأنكب على الآداب العربية حتى بدأت له أسباب الثقافة الإنجليزية و أوغل في دراستها ،وحفظ الأشعار الإنجليزية القديمة والحديثة ليكون ناقداً فذاً جمع بين الثقافتين وتولدت له ملكات جديدة في النقد والفهم ، وحاول تشعير الانجليزي على عمود الشعر العربي وقارن بن أوزان الشعر الانجليزي والعربي .

ويرى الباحثون أن اهتمام الأديب بالثقافة العربية جعل له مدخل في المجتمع الإنجليزي ، ولا تتاح هذه المداخل الا بالمعاصرة ، التي فتحت له مغاليق المجتمع الإنجليزي وهوالاطلاع والكتب والمقالات والمسرحيات وغير ذلك ، وخاصة انه تزوج منهم امراة وقد قام الباحثون بتقسيم ذلك ذلك الي فصول ومباحث مستعينين على بعض المصادر والمراجع .

وكل هذا ماسنراه في هذا البحث إن شاء الله .

تساؤلات البحث:

1/ فيم حسد عبد الله الطيب؟

2/ يعاب عبد الله الطيب على الانغماس في السياسة ويرى أن الساسة قوم لئام لماذا؟

3/ تعج دواوين عبد الله الطيب خاصة (اصداء النيل) من مر الشكوى وحسد الحساد وكيد الأعداء والمتآمرين لماذا؟

4/ لماذا يرى عبد الله الطيب الناس جميعاً غير صادقين في صداقتهم له؟

5/لماذا لم ينل التقدير الذي تستحقه عبقيريته وموهبته مع أنه فنان في أشعاره وابداعاته؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث على تعريف الأجيال الناشئة بهذا الأديب ونشر الثقافة السودانية بشقيها العربي والإسلامي والأفريقي.

أسباب اختيارنا لهذا الموضوع:

يرجع اختيارنا إلى سببين:

أولهما: أنه من اعظم ألشخصيات السودانية التي ينبغي الوقوف عندها.

ثانيها: كان أستاذاً متميزاً ولقد اعترف العالم به.

منهج البحث:

اتبع الباحثون في هذه الدراسة المنهج التاريخي والوصفي.

حدود البحث:

الإطار الزماني:

الموافق: 2016/5/10م

الإطار المكاني:

الشمال الاوسط، نباهية التميرات من قرية أم الطيور.

الصعوبات التي واجهت الباحثين:

كيفية جمع المادة ووضع الخطة لهذه المادة والدراسات السابقة وترتيبها.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحثون على أي دراسة سابقة.

الفصل الثاني

المبحث الأول

مولده ونشأته وحياته العلمية والعملية

قال الأستاذ الشاعر محمد محمد علي في معرض حديثه عن زميله إدريس جماع :

كما الاطفال قد ولدوا نبي الشعر قد ولدوا

ونحن نقول كما الأطفال قد ولدوا ولد عبد الله الطيب لقد من الله على العربية لغة الكتاب المنير بأن وعيها هذا العالم الفذ الذي سخر عقله الواسع وعبقريته المتميزة ومواهبه الجزيلة لخدمة هذه اللغة النبيلة التي نذر لها زهرة حياته ونضارة شبابه درساً وتحصيلاً وتأليفاً . ومازال يعاني ويكاد ويكدح ويجتهد وينظر ويتأمل حتى فتحت له.

الأبواب المغلقة فانقاد له ما لا ينقاد لغيره وسلس له ما لا يسلس إلا له فحق فيه قول شاعرنا محمد عبد القادر كرف "عليه الرحمة":

واتحفناوهوطلقالحبيببماليستلقيهإلالدنه

مولده:

ولد عبد الله الطيب في الجانب الغربي من الدامر (دامر المجذوب) سنة 1921مم ومن المعلوم ان للدامر في ذلك التاريخ وقبله وبعده من العلم والفضل والإحسان مالا تكاد تجده في غيرها من القرى فيها علم الدين والعربية وفيها العمل فكم فيها من فقيه زاهد عابد مجاهد ومن مثل عبد الله الطيب معرفة بفضلها يطالعها قلبه ويلهج بها لسانه[1].

[1]/ عبد الله الطيب في المقالات ودراسات ، الحبر يوسف نور الدائم ، هيئة الخرطوم للصحافة والنشر ، ط1 ، ص 25 -26

وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّي أَحِنُّ لَيْهُم وَأَسْأَلُ عَنْهُم مَنْ لَقِيتُ وَهُم مَعِي

تَشْتَاقُهُم نْفِي وَهُم فِي سَوَادِهَا تَشْتَاقُهُم لْبِي وَهُم يْنَ أَضْلُعِي

ومافتئ عبد الله الطيب عنها من منافحاً، فإن قال الشاعر توفيق صالح جبريل:

أيا دامر المجذوب لا أنت قرية بداوتها تبدو ولا أنت بندر

أجابه عبد الله الطيب:

بلى أنا حقاً فوق ذلك كله ودوني خرطوم وبارا وبربر

نشأة عبد الله الطيب:

نشأ عبد الله الطيب في بيت علم غرته رواقه ممتد وبساطه ممدود وظله دائم والده الطيب عبد الله المجذوب عليه سائلين الرحمة والرضوان كان معلماً محسناً وشاعراً مجيدا يقرأ القرآن ويحسن قراءته ويتعلق بعلومه ناظراً فيما وضع فيها من تأليف الشاطبي وابن الجزري وغيرهما من الفحول. وكان إلي هذا حسن الصوت ذواق لا يكف عن قراءة سبعه ولا ينقطع عن الترنم بأشعار الأقدمين ولا يبخل بفضل ترديد اشعار بعض المحسنين من امثال شوقي وكانت اذن شيخنا تلتقط ذلك كله وتختزنه وتذهب به أي مذهب ويؤثر فيها ايما تاثير والمعلم كثير الترحال في بلادنا لا يكاد يقرأ، ولم يكن والد عبد الله الطيب يبدع وهكذا أتيحت له ولولده من بعد أن ينشط من بلد إلى بلد وان يخالط اصنافاً من البشر وأن يلم بأشتات من عادات، والوان من لهجات مما كان له اثره الذي لا ينكر في تكوين العقل وتكوين المزاج فهاتيك جزيرة (مقرات) جزيرة واسعة فيحاء يذكر منها صاحبنا صقورها المقاتلة وله معها تجربة سنذكرها فيما بعد وانه ليعجب لأهل[2]

[2]/ نفس المرجع ، ص 26 – 27

الخرطوم الذين يريدون أن يستأثروا بالخيرات، كيف يذكرون جزيرة توتي ولا يذكرون جزيرة مقرات؟ وهي اوسع وافيح، وهي بالذكر اولى واحق ولكنهم أهل الخرطوم!.

ومما زاره ومكث فيه حيناً ، كسلا والقاش، مكث فيها خمس سنوات ومازلن من أطيب ذكريات العمر كما قال..جبال رعناء،وسهول فيحاء، ومروج خضراء، واودية وشعب ولقد يروقه شجر الدوم والدليب، وعبر لي مرة عن أساه إذ زار كسلا،،ووجد أن الدوم والدليب قد زالا وإنا لله وإنا إليه راجعون! وما من بلد في أيامه الأولويات من بعد إلا ومناظره مجلوة لناظريه ،محفورة في ذهنه ،ولو في بعضها خوالد، وفي بعضها أطياف من ذكرى ،والذكرى قد تؤرق احياناً :

عرج على جوس واذكر عندها الــوطنا إن الجبال بجوس هجن لي شجنا

إذكرنني أركويتاً وهي نائـــــــــــية والنيل ياليت أن النيل منك دنا

إنه صدى الذكرى لأولى غارت في صدر الصبي تنبثق من جديد ،وهو الوفي الذي لا ينسى عهداً ولا يحفر ذمة، ولا يخون أمانة. وهكذا أتاح الشيخ الطيب عبد الله لابنه عبد الله الطيب أن يفتح أذناه على سماع الكلم الطيب من الآيات المحكمة المونقة،والأشعارالجيدة والمنمقة ،وأن **تبصر عيناه**في وقت مبكر مناظر مبهجة، وتجارب مختلفة،ثم كانت جدته التي أوتيت حظاً من جلد وقوة،ونصيب من حفظ الأخبار والآثار والسير،فورث عنها جلداً ، وأفاد منهاعلماً ، وأحسب أن لها كفلاً في تكوين خياله الممرع الخصيب، وذاك بما تقصه عليه من قصص وأساطير ظلت تدور في نفسه حتى سجلها ي (الأحاجي):(جفيل وجفيلة والغول وفاطنة السمحة وياجلابة)[3].

[3]/ نفس ا لمرجع ، ص 27- 28

ولم يقف تأثير ذلك عند تخصيب الخيال وتوسيع المدراك، بل تعداه إلى فهمه المستقل المعجب للأشعار العربية ومافيها من حديث الخرافة والأسمار والأباطيل.

تمتع عبد الله الطيب بأبويه ما شاء الله له ان يتمتع وهو يافع، ثم كانت الكارثة (وكم من منحة في طي محنة)هاهو ذا يفقد أباه الذي بدأ ينير له السبيل، فيا له من هول رهيب، ويالها من داهية نآّد ويالك من يوم مفظع.

وذقت الفقر، طعم الفقر مروذقت اليتيم إذ مالي أكيل

ولعل من ماله المأكول ذلكم الحمار الأخضر الذي يختال في رسنه وقد وصفه لنا في بعض ماسطر من ذكريات! ذهب والده الي رحمة ربه سنة 1933م وذهب هو يقاسي لأواء الحياة، وشدة العيش شظفه،ولكن كم للشدة من يد هي أشرف أجل من ظلام ليل أبي الطيب.. جزى الله الشدائد خيراً فقد علمت عبد الله الطيب أفضل تعليم وخرجته احسن تخريج.

انطلق الفتى يشق طريقه الصخري شقا مذهلاً معتمداً على ربه أولاً وعلى نفسه ثانياً وظل يصعد الدرج في تفوق باهر ونجاح ساحر

رأيت عرابة الاوسي يســـــعي إلى الخيرات منقطـع القـــــــرين
إذا ما راية رفعت لمجـــــــــد تلقـــــاهـــا عـــرابـــة باليميـن
وعين الله التي لا تنام تكلا الفنتى وتحفظه من ان تلين له الفتاة لصليبة
اذا ما كنت ذا عود صلـــيب فيكـــفيـني القـــليل مـــتن اللـحاء[4]

[4]/ نفس المرجع ، ص 28 – 29

ولولا فضل الله عليه لقد أصابه من اليتم والفقر ذل لا يرفع ،ومسكنة لا يفلح معها شيء ابداً . لقد هيأ الله له (الشيخ الفاضل محمد مجذوب جلال الدين الذي كان له بمنزلة الوالد بعد فقد والده.

وكان ذلكم الشيخ آية من آيات الله حفظاً واتقاناً، وذوقاً ورهافة حس، وما انفك يشجعه ويشجع صنوه في الشاعرية وصفاء الذوق، وجودة الملكة؛ الأستاذ الشاعر الفحل محمد المهدي المجذوب، وإن تفرد عنه أستاذنا في الكسب العلمي الهائل الذي تنقطع دونه أعناق الرجال.

وكان لذلك الشيخ العالم الوقور فضله الذي لا ينكر، ويده التي لا تكفر في تربية شيخنا وتوجيهه وتسديده. فالرجل عالم والرجل شاعر، والرجل ناقد، وكل هذا مما يحتاج اليه الناشئ المتدرج في مراقئ العلوم والآدب، فإذا أضفت إلى ذلك كله إعجاب عبد الله الطيب به علمت أي تأثير بالغٍ خلف ذلك المحسن حياة الغمام.

ومن أية إعجابه قوله عنه وقد اهدي إليه ديوانه: (بانات رامة):

<<(إلي الوالد الأستاذ الشاعر، العلامة الفقيه النُس، النجيب الأديب الشيخ محمد مجذوب جلال الدين حفظه الله وأطال بقاءه).>>

وهكذا كان لتلك النشأة البيئة الكريمة التي تلقاها عبد الله الطيب اثرها الذي لا يمحي ولا يزول حتى بعد ان واجه مجتمعا غريباً ذا حضارة مغايرة، وتوجه مادي ضيق

ألا ليت شعري أي عفريت جن أتاحك هذا الحب يا ابن المساجد[5]

[5]/ نفس المرجع ، ص 29 -30

حياته العلمية والعملية:

نشأ عبد الله الطيب في بيت له بالذكر دندنة وبالقرآن دوي، وبالشعر ترنم وتطريب. ومن حوله جو مفعم بذلك كله .. فيه القرآن بأنواره وناره وألواحه وعماره، وفيه الذكر بحلقاته وطبوله ونوباته، وفيه المديح بصيحاته،وترنيماته وطاراته، فيه ذلك وفيه غير ذلك، فيالها من نشأة ويالها من تربية وياله من تعليم وتثقيف.وكفي بالقرآن بداية مشرقة ،وكفي به خاتمة وضيئة.

وماهو صاحبه ورفيق صباه محمد المهدي يناجيه قائلاً متسائلاً :

اتذكر ناراً اوقدت عند خلوةعشاءه تعني بالكتاب المنزل؟

لقد حكى لنا الأستاذ عن تجربته في الخلوة (في حقيبة الذكريات) بأسلوبه الأدبي المرفرف المعروف مما حد بالأستاذ الطيب محمد الطيب أن يزين بها بعض صفحات كتابه (المسيد). حكى عن الواح الهجليج والعشر،وحكي عن إشراق العمار وطريقة صنعه،وحكي عن الجير الذي يمحي ،وحكي عن طريقة الشيوخ في الأداء ،وطريقتهم في التعليم ،وأسلوبهم في التعامل وعن بعض المواقف الحرجة التي مرت به مع بعضهم فأبدع في ذلك كله أيما إبداع؛فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.ثم كانت تجربته مع المدارس النظامية التي أظهر فيها نبوغاً بارعاً ،وتفوقاً فارعاً ،وعبقرية فارهة،ولولا ماحباه الله به من تصميم مصمت،وعزيمة حذاء،وزكن شديد،لربما أودت به بعض الألفاظ غير المسؤولة من بعض المدرسين والنظار من الأهلين والأجانب،كذلك الذي قال له:<<إنت مانافع[6]

[6]/ نف المراجع ، ص 30

يمضي عبد الله الطيب في طريقه إلى صاحبه فؤاد مشيع ذكي وقلم صارم متوقد ولسان صيرفي قاطع وعزم قوي لا يتردد:

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن ترددا

حياته العملية: قطع أشواطه في التعليم وثباً ،وحقق آماله في التخرج ركضاً ،فعين معلماً بوزارة المعارف ، فدرس في المدرسة الأهلية في ام درمان ودرس في بخت الرضا بالدويم في معهد التربية ثلاث سنوات بعد عودته الموفقة من إنجلترا ، وذلك قبل التحاقه بجامعة الخرطوم التي تسلم فيها الادارة من بعد،ترك في أساتذته بالمدارس أثراً باقياً، واعجاباً حياً ،ولقد سمعت أستاذه الأستاذ الهادي أبوبكر يتحدث عنه بإعجاب مفرط في إذاعة أم درمان ،وكان مما قاله:<<كنت أعب في أي مجال سيعمل عبدالله الطيب ،وذلك أنه كان محسناً في كل مجال ... كان يجيد الإنجليزية ، كما كان متفوقاً في الرياضيات ، كما كان يحسن الرسم ،ويجيد الخط>>.كانت بخت الرضا مكاناً تتلاقح فيه العقول ، وتتلاقي فيه الأفكار، ويتنازع فيه الفحول ووجد فيها عبدالله مناخاً علمياً صالحاً انقطع فيه للدرس والتحصيل، وبدأ فيه تأليف كتابه (المُرشد)وماأدراك ما(المرشد)؟ذلكم السفر العظيم الذي ماأحسب أن ألف مثله في بابه في عصرنا هذا:

عليك السائقات فانهنة يدافعن الصوارم والالسنة

وفيه علي درجة الدكتوراة ، تلك الدرجة العلمية الرفيعة ذات الطنين والرنيين أو اقل <<الشنة والرنة>>عهد ذاك .وفيه عمل عاماً كاملاً بجامعة لندن في معهد اللغات الشرقية..وفيه اختار وطبع(الحماسة الصُّغرى)التي تنمُّ عن معرفة[7]

وتدلّ علي ذوق،وتكشف عن حس شعوري –لعمرك-مرهف...وفيه تزج السيدة الفضلى (جريزلدا)لـ"ي هي <<أخت وحَنَّة>>كما عبر الشاعر المرحوم عبدالقادر كرف.

[7]/ نفس المرجع ، ص 31 - 32

المبحث الثاني

عوامل تكوين شخصيته وأصدقاؤه

أولاً : العامل الوراثي:

لا شك إن العامل الوراثي شديد التاثير في تكوين الغالبية العظمة من الافراد والأشخاص في تشكيل خصائصهم الذهنية، الوجدانية والسلوكية،وكلما كان هذا العامل قوياً وعبقرياً، كلما كان تأثيره كبيراً وتشكيله للشخصية حاسماً، لأن كل السلالات ليست متساوية في القوة والعنفوان، فإن بعض السلالات ضعيفة الأثر ولكن البعض الآخر يتصف بالإيجابية فبعض الأعراق ضعيفة في اصلها وبعضها الاخر يتصف بالتوهج وبقوة الاندفاع والانطلاق، وبقوة الخصائص الذهنية، والعصبية، والانفعالية وكذلك بالعنفوان الجسدي. فمثل هذه الأعراق يكون لها تأثير قوي وحضور فاعل جداً في الذرية والول[8]د.

ولا شك إن عشيرة المجاذيب، وهم شيوخ الجعليين وبركتهم كما يقال هي من العشائر الفتية القوية التأثير والاندفاع والحماسة، المشهورة بالشجاعة وبالبأس الشديد:

أولاً : هي فرع من قبيلة عظيمة قوية هي من قبيلة الجعليين الذين ينتمون إلى الفضل بين العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن الحارث بن النضير بن مضر بن عدنان.

ثانياً: فهم بيت العلم والقرآن واللغة والشعر بيت أولاد عرمان ولقد أسسوا الطريقة، واوقدوا نار القرآن،[9] ووضعوا قواعد الشرف العالي والكرم والإيواء والإطعام ورفعوها عالية منذ عهود في دامرهم العتيقة. ((النار أوقدها عيسى بن قنديل بن حمد بن عبد

[8]/ عبد الله الطيب ذاك البحر الذاخر ، ط2 ، 2004م ، ص 16 ، دار الخرطوم للبطاعة والنشر

[9]النار هي نار القرآن الكريم في مسجد المجاذيب بالدامر

العال)) والتي ظلت متقدة منذ أن أوقدها الحاج عيسى وهو في رأي عبد الله الطيب معدن البركة من آل عبد العال، ولقد أوقد النار بعد عودته من الحج وبعد رجوعه من دنقلا التي أقام فيها زماناً .

ثالثاً : اشتهر المجاذيب بالكرم، والضيافة ،والإيواء، وكانوا يملكون أراضي واسعة، شرق النيل وغربه، وكذلك على ضفتي الاتبراوي الطعام للحيوان, وكانوا يقومون بزراعة تلك الاراضي، ويحصلون منها على كميات وفيرة من الحبوب.[10]

تساهم في تقديم الطعام للحيوان، الذين يقصدونهم من كل أقاليم السودان من الجنوب والشرق والغرب وكذلك من الحبشة واريتريا والصومال وكذلك تشاد وغيرها من الأقاليم البعيدة.

فالطبيعة العربية الهاشمية متحدة العلم وعراقة التدريس ونيل الكرم والضيافة وكذلك الفروسية والنجدة ، هي بعض الخصال الكريمة، التي توارثها المجاذيب كابراً عن كبار. وليس في هذا الذي نقول أي تأييد للنفرة العنصرية البغيضة التي تفصل بعض الأعراق على بعض فالبشر كلهم لادم وآدم من تراب.

ولكن أيضاً ففي البشر كلهم نفحة من روح الله وسر من أسراره الربانية وهي لطيفة الروح الإلهي، فبعض هذه الأعراق تفرزها وتوقدها وتنميها وتذكيها، وبعض الأعراف تهملها وتدوسها ولا حتى تعترف بها ولا تتعدها بالنماء والرعاية فتضمر وتخبو، ثم تتقلص إلى أقصى درية، فتظل تلك الأعراق ضاوية ضامرة مضمحلة، لا تكاد ترتفع عن أفق الحيوان، ولا تعرف شيئاً أسمه العزة، أو الرفعة الشماء أو المجد التليد.

ولكن فيما عدا ذلك فالله قد خلق كل البشر أسوياء، أعزاء ذوي كرامة وعزة لأنه أودع فيهم جميعا شرارة روح القدس وطهارته وعزته. قال تعالى:((وما خلق الذكر والأنثى

[10] عبد الله الطيب ذلك البحر الذاخر، الطبعة الصادرة، دار الخرطوم للطباعة والنشر 2004م، ص: 16

إن سعيكم لشتئ فأما من أعطى وأتقى، وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)).[11]

وقال تعالى:((ونفس ما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)).[12]

فالمسألة هي مسألة كد وكدح ونضال وسعي لإعمار الحياة، هاهنا تتفاوت الأعراق والسلالات وتتمايز، وليس له عشيرة جيدة ولا شعب مختار ولا أعراق أفضل من الأخر.

وكسب المجاذيب هو الشرف والمجد وتميزوا به.

ثانياً: عامل البيئة والجغرافيا:

عاشت المجاذيب في المنطقة المحصورة بين (خور التلواب) شمال عطبرة و (خور المكابراب) جنوب الدامر على ضفاف النيل.

وقد عاش عبد الله الطيب في هذه المنطقة الساحرة، إن الإمطار في الأربعينيات والخمسينيات في القرن العشرين كانت تهطل غزيرة وكانت (أم العبور) أو الدامرالعربي، كما يحلو لعبد الله الطيب أن يسميها – كانت غابة غناء وأيكة خضراء وكانت الطيور تجئ إليها من كل حدب وصوب.

فالنيل وأشجار النخيل الباسقة على ضفاف الأتبراوي والأشجار والأعشاب على شاطئه والأودية تمر بها المياه وتندفع.

[11] المرجع السابق
[12] سورة الشمس، الآية 7-10

كل ذلك كان جزءاً من تلك النعمة الجميلة للأسرة التي عاش عبد الله الطيب فيها طفولته التي ظل يصبو إليها ويحن حيثما ذهب.

للروح مهد واحد، وللقلب بيت واحد، هو ذلك الوطن أما الجسد فله بيوت كثيرة وأوطان كثيرة يمر بها الفتى ويبقى فيها الوقت، طال أم قصر، ولكنه يظل يحن للوطن الأول.

يقول الدكتور عبد الله الطيب:

بدامر الصدق لي رهط واصحاب وبالتمـــــتيراب لي أهل ومنتـــــاب
ومنزل كان فيه والدي عشـــــا عليـــــه الظفـــــر والنـــــاب
يا جبزا النيل اذ رق الاصيل واذا ماء السواقي على الروضات سـكاب
وفيتة قد تلوا يس في ســـــحر وغيرهم في حشايا الليل ما شاب
وغدوة يصبح القمري ساجعهـا قوافيا ما لهن الدهـــر إعـــراب
وحبذا النجم عند الفجر مرتقبـا تلقـاء وجـهك والظلماء تنجـاب
وقارئ بردة المختـار مـرتقب وقـت الاذان خـبير لـيس يرتـاب
جاد الحياء منزلا قد كنت آلفه بـدومة الـغرب لازم ولا عـــاب
واقبرا مستكنا في حنا دسهـا اب وام وآمـــــــال وآداب[13]

(فدومة الغرب) بالتمبراب، بأم الطيور، أو الدامر الغربي كما يسميها هي الوطن الأول وهي لذلك الحب الأول والمنزل الأول.[14]

ولقد كان البروف عبد الله الطيب كثيراً ما يحن إلى "دومة الغرب" ذات السيل وهو في لندن، ولكنه بالرغم من ذلك يحس فيها بالغربة وبالحنين الشديد للأهل والعشيرة.

[13]/ عبد الله الطيب ذلك البحر الزاخر ، ط2 ، الصادرة 2004م ، ص 61 الخرطوم للطباعة والنشر ، قصيدة بدامر الصدق
[14]عبد الله الطيب ذلك البحر الذاخر، قصيدة بدامر الصدق دار الخرطوم للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 2004م، ص: 17

فالوطن الأول، والحبيب الأول لعبد الله الطيب ولكثير من الناس هو موطن الأسرة ومنزل الأم والوالد ولأخوة والأخوان والعشرة والأحباب وحيث مآرب قضاها الشباب هنالك، وحيث أحباب الطفولة البريئة واللهو وآمال الرمال.

ومن تكن له مثل ذاكرة عبد الله الطيب الأسطورية فهو لا يكاد ينسى شيئاً من ذكريات الطفولة والصبا.

ومهما يكن من شيء فإنه يحن إلى الوطن.

"وإن أهل عبد الله الطيب كانوا من أنصار المهدي وقد أفنت الفروسية أكثره وهم يقاتلون إلى جانب الأنصار، منهم من صحب المهدي إلى قدير واسر بالنجومية ويوصف عبد الله الطيب جده لابيه عبد الله بن الطيب بأنه:

كان سيداً مطاعاً، ذا تدبير وحزم، وشكيمة وجد وبتدبيره أمن عام 1306 من المجاعة الشهيرة (سنة ستة).

ويقول عبد الله الطيب إن والده نشأة يتيماً لأمه فريداً إذ توفت والدته (التومة بنت فضل الله الشيخ، وهو صغير، ودرس القرآن الكريم بمساجد آبائه وجدوده عند الشيخ ود الفكي على وقرأ الشاطبية وحفظها، وهاجر إلى الأزهر الشريف وكان بقاؤه قليلاً لا يلائمه طقس القاهرة الرطب، ولحق بكلية غردون وتركها 1906م من السنة الثالثة، وثم صار والد عبد الله الطيب إلى التدريس في أوائل العشرينيات وكان أول عمله بالمدرسة الأولية بكسلا، وبها أقام الفتى خمس سنوات يقول عنها إنها "لازالت من أطيب ذكريات العمر".[15]

وبعد ذلك إلى أبي حمد والدامر 1931م بالدامر الغراء أمضى عبد الله الطيب آخر سنوات المدرسة الأولية وصار إلى الأميرية الوسطى ببربر 1932م.

[15] مقدمة "اصداء النيل النيل"، دار الخرطوم للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة، ص: 38

توفى والد عبد الله الطيب وهو بالسنة الثانية 1933م وكان سبب وفاته من الكبد، ويقول عبد الله الطيب عنه أنه("كان قد رقة للعبادة أشد رقة" ولم يزل إلى أخريات سنوات يتلو القرآن الكريم بالسحر وكان له متقناً).

يذكر عبد الله الطيب بعد ذلك إنه رزئ بفقد عدد من أقاربه الأقربين:

. بعد عام من وفاة والده، وتوفى أخوه وشقيقه حسن غرقاً بالبئر بأم الطيور.

. ثم توفيت جدته لامه، بخيته بنت حواء وبنت خلف الله ود بدير وكانت رباطابية من رتل الشريف ذات شخصية قوية، وكانت بعد وفاة والده ركنا للعائلة كلها.

. ثم لحقتها بعد أسابيع لم تبلغ الاربعين والدة عبد الله الطيب وكان حيئذ في السنة الثانية من المدرسة الثانوية.

. ثم فقد بعد ذلك شقيقين وعدداً من الأقارب.

ولا شك ان هذه الرزايا والمصائب قد تركت في نفس الفتى عبد الله الطيب أثاراً عميقة من الأسى والحزن والكمد الدفين، خلفت تلك الآثار خطوطاً عريضة، بعيدة الغور في نفسه، ولازمته طيلة حياته.[16]

ويقول عبد الله الطيب "كنت انشل عند البئر التي وراء حجر الطعام "السفرة" بالداخلية لاغسل ملابسي، وجاء أحدهم يحمل ظرفاً فيه رسالة وفتحتها وقرأت...

وما المال والاهلون إلا ودائع ولابد يوما أن ترد الودائع

وإذا بحسن قد غرق في المترة يوم الاثنين سقطت مني دمعة كبيرة جداً وتماسكت تجلداً .[17]

[16] عبد الله الطيب ذلك البحر الذاخر، الخرطوم للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 2004م، ص: 4

[17] عبد الله الطيب، من حقيبة الذكريات، دار الجامعة الخرطوم للنشر، ص: 104

ثالثاً : العامل التعليمي والتربوي في حياة عبد الله الطيب:

إلى حد كبير تكون الجزء الأكبر والأهم من شخصيته في وقت مبكر، في حوزة المجاذيب العلمية العراء، وعلى ضفاف النيل في دومة الغرب الخضراء، وفي ديار آل الطيب بن عبد الله بن الطيب في التميراب وفي ضواحي أم الطيور كان والده الطيب بن عبد الله الطيب عالماً متضلعاً في علوم القرآن الكريم، واللغة العربية وعلومها، وكذلك الشعر العربي وخاصة أشعار الجاهلين والمدائح النبوية، وكان شاعراً فذاً ولكن يبدو أن معظم أشعاره قد فقدت، كما انه توفى وهو صغير السن نسبياً، عن سبع وأربعين أو دون ذلك!

كما أن تأثيره بعد والده استاذه الشيخ مجذوب جلال الدين ويقول عبد الله الطيب إنه تأثر بالشيخ مجذوب جلال الدين كثيراً وقرأ عليه الأدب واللغة والعروض والتجويد.

وإلى جانب تأثير عبد الله الطيب باستاذه وقريبه الشيخ مجذوب جلال الدين الذي درسه أيضاً في كلية غردون التذكارية فقد درس على يد الشيخ الفقيه عبد الله النقر بن أحمد بن جلال الدين.

ويقول عبد الله الطيب انه كان دائم النظر والقراءة لديوان الشيخ عبد الرحيم البرعي الذي كان مكتبة والده الطيب بن عبد الله الطيب وانه يحفظ الكثير من قصائد الشيخ البرعي وكذلك قصائد الشيخ محمد المجذوب بن قمر الدين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويقول عبد الله الطيب انه ايضاً كان يحفظ:

- قصيد بانت سعاد لكعب بن زهير ابي سلمى.
- والبردة والهمزية لمحمد البوصيري.
- ومعلقة عنتر بن ابي شداد وكذلك لاميته المشهورة حكم سيوفك.

- كما كان عبد الله الطيب على إلمام واسع باشعار العرب من جاهلين واسلاميين ومعاصرين.
- وكان على علم ممتاز بعلم القرآن وأحكام التجويد وكذلك باحكام النحو العربي وكان كذلك يحفظ ألفية ابن مالك.[18]

ولقد كانت زيارة الشاعر الأديب والمفكر المصري علي الجارم مناسبة استعرض بها التلميذ عبد الله الطيب الطالب النابغة انذاك بالمدارس العليا علومه وقراءته في اللغة العربية والشعر.

عندما مثل عبد الله الطيب للامتحان الشفهي أمام الشاعر علي الجارم سأله أن يقرأ شيئاً من محفوظاته فاندفع ينشد لامية أبي العلاء:-

طربن لضوء البارق المتعالي ببغداد وهذه ما لهن ومالي

يقول عبد الله الطيب ولم تكن تلك القصيدة مما أملاه أستاذ الأدب أو حاضر عنه. وربما أراد أستاذ الادب العربي بالكلية أن ينبه إلى ذلك، ولكن علي الجارم لم يأبه لذلك وطلب من عبد الله الطيب الاستمرار في الانشاد وسأله عن معاني المفردات والتعابير.

ثم طلب منه أن ينشد شعراً أخر فانشد بشعر:

مغاني اللوي من شخصك اليوم اطلال ففي النوم مغنى من خيالك محلاك

يقول عبد الله الطيب إن علي الجارم نسى أمر الامتحان برهة وتولى هو بادائه البارع أمر الانشاد:

فيا وطني ان فـــاتني بك ســابق من الدهر فلينعم لسكانك البال

مران استطيع في الحشر آتك زائراً وهيهات لي يوم القيامة أشغـال

[18] عبد الله الطيب ذلك البحر الذاخر، دار المطبعة الخرطوم للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 2004م، ص:22

ويقول عبد الله الطيب إن علي الجارم بعد ذلك سأله إن كان ينظم الشعر، فانشد عبد الله الطيب بعض قصائده فاعجب أيما اعجاب!

وعندما احتفل السودانيون في نادي الخريجين أنشد عليهم قصيدا اخلفت ياحسنا وعدي[19]

أما في جانب العلوم الحديثة فقد كان عبد الله الطيب بارعاً:

- في علوم الرياضيات، وكان يحرز الدرجة الكاملة.
- كذلك الجغرافيا التي كان يحبها كثيراً .
- واما اللغة الإنجليزية والأدب فقد كانا يخلبان لبه ويقول إن اللغة الإنجليزية وآدابها هو العلم الاكثر جدة في الكلية آنذاك !!

اصدقاء الدكتور عبد الله الطيب:

بالرغم من شكوى الدكتور عبد الله الطيب بأنه وحيد متوحد فقد كان له أحباب كثر وأنه لم ينتِم لا إلى اليسار ولا إلى اليمين، ولا ينتمي إلى الحركة الوطنية، ولا إلى السياسة عموماً كما ذكرت من قبل.

وبالرغم من ذلك، فقد كان له إخوة أعزاء وأصدقاء حميمين وكذلك طلاب بالالاف "وأنظر إلى الالاف التي خرجت إلي تشيع جثمانه إلى مثواه الأخير.

ولكن عبد الله الطيب لم يذكر إلا القليل منهم في آشعاره ولكنه على كل حال، فقد ذكر من أصدقائه كل من:

1. السفير جمال محمد أحمد.
2. الدرديري محمد عثمان.

[19] / عبد الله الطيب ، حقيبة الذكريات ، ط1 الخرطوم للطباعة والنشر، 1983 م ، ص 64

3. الدرديري أحمد الطيب.

يقول الدكتور عبد الله الطيب:

نعوا لي دردیري فاحسست حسرة على فقده تنفك في انفلـــالها[20]

وكم قد قرأنا الشعر اسمـــع صوته يؤكـــد موتي لفظه وظـلالهـا

وشعـــر، .... تحتـــار منه غنـــاءه لقبره جوة الـــصغير خلالهـــا

فتشدوا اذا تسمـــوا اذا شـــــدت وتفرغ في لحن شدته انفعالها

لاعلـــى فـــاعلى في سمـاء رحيبة بهـا وجـــدت مـــلء الجنـاح مجالها

وكذلك يقول:

ومن مثل دردیري عفافا ونجدة وعزة نفس لم تجد من ازالها

وكان اديبا ناقدا لمحاته تفيد عباراته البيان ما لها

وذا فنة حتى لو ان فطانة بها احد نال السماء لنالها

وكان اخا الاخوان فيه ردية وحزم اذا ما كلمه الحق قالها

وقد كان دردیري فقد ساء رزؤه فؤادي عبرتي وآجلها

سقى قير دردیري سحاب مجلجل برحمة ربي ما تعب سجالها

[20]/ نفس المرجع ،ص 66

ومن الذين كان البروف يودهم كثيراً السفير جمال محمد أحمد والذي كان أيضاً وزير للخارجية في السودان.

ففي قصيدته رثا فيها جمال محمد أحمد قال:

ذكرت جمالاً صديق درج وكم لجمال الحياة ابتهج
وكان فتى ذهني المحيا يرى فيه ضوء الحياة انبلج
وعشنا زمانا وراء البحار وجر الشباب شديد الوهج[21]
ونقرأ في شغف لا نمل يذوق سليم وفكر نضج
نعوا لي جمالا صديقي الفطن وجئت الصلاة فقالوا دفن
بكيت عليه بدفع غزير وقلبي لموت جمال حزن

وكذلك رثى عبد الله الطيب كل من صديقه د. احمد الطيب وعبد الرحمن الأمين قال في رثاء د. أحمد الطيب "وهو من الغبش غربي بربر" وكان عبقرياً وذا ذكاء نادر يشع نوراً من عينيه الواسعتين الجميلتين قال:

هل تذكرت احمد يا جمـــــال كـــــان فـتى اديبـــا
مهـــــذبا اديبـــــــــــا وكان حقا بيننا محمودا
وذا ذكـــــاء نـــــــــادر وذا بيـــان ساحـــــر
كم اعجب الطلاب اذ يحاضر وناقدا قـــد كـــــان
مقتـــــــدرا فنـــــــاناً وطالما اشدته الالحـــانا
هل تذكرت احمد ياجمـــــال الذكريـــات نـــــــور
حـــين دجـــــا الديجـــور وامتدت الغابة والعتمـور
الذكـــــــــــريات زاد إذ ذهـــب الانـــــداد

[21]/ نفس المرجع ، 68

وهكذا كان هؤلاء الاصدقاء جماعة في صدق ورابطة فكر وانداد الجمال والفن والأدب، كانوا زمالة علم وسياسة في سبيله، في ديار الغرب، وكانت لهم تجربة عظيمة واحدة هي تجربتهم وهم يتلقون العلم وراء البحار ويتفاعلون مع الحياة الغربية، والثقافة الاجنبية، أخذ وعطاء وتفهماً ونقداً وإتلاء، كانوا زملاء، في واحدة من أعظم روابط التعلم والتفكير والتأقلم في حياة غربية في كل شيء، فسيروا أغوارها وأخذوا الجميل[22] الحلو منها. ولكنهم حافظوا على هويتهم العربية وثقافتهم الإسلامية وإنتمائهم السوداني اللأصيل.

والذي كان يجمعهم هو العلم والفكر والحياة في ديار الغربة حيث "لا انس ولا مال" بلندن ولا أهل ولا عشيرة.

قصيدة مزدوجة في نعت لندن:

قال عبد الله الطيب:

في هول أرض صيفها شتاؤها ملبد بسحبها سماؤها
فسرت لا أعقل في الطريق صفرا من العدو والصديق
افرق من شيء ومن لا شيء لا انا الجاني ولا البري
اعطش لا اهدى إلى شراب بين الوجوه البيض كالغراب
اختلس المدخل في المطاعم خشية طرف عاذر أو لائم

وتلك هي محنة الغربي الافريقي أو العربي في لندن والعنصرية مرض إنساني لئيم وقد كانت فاشية في بلاد الانجليز في الماضي ولكنها الآن خفت كثيراً وكذلك في الولايات المتحدة الامريكية.

[22]/ نفس المرجع ، ص 70

المبحث الثالث

رأي النقاد فيه (حساده واعتلال صحته)

وفي موضوع الحسد، والشيء بالشيء يذكر، كان عبد الله الطيب يعاني كثيراً من كونه كان مبرزاً جداً، حيث كان يتفوق على اقرانه في الترتيب دائماً، وكان في هذا التبريز لجد محسود، ويذكر عبد الله الطيب في ذلك قصصاً منها إن بعض زملائه تعرض له بالضرب دون أي مناسبة، كما كان بعض مدرسيه يحسدونه على تفوقه في الترتيب، ومرة جاء أحد هؤلاء المدرسين الذين كانوا يسحدونه على تميزه وخلعه من مرتبة حفظ النظام في الفصل (الألفا) يعني العريف بلاسبب ظاهرة. وعندما قبل في التحضير ؤبالداخلية ومجاناً" قال له واحد من هؤلاء المدرسين الحساد "إنك لا تستحق ذلك" بالرغم من أنه كان يتيم الاب والأم ومن أسرة كبيرة ومحترمة ولكنها كانت آنذاك أسرة فقيرة أسرة المجاذيب. وكان الفقر هو الظاهرة السائدة آنذاك خاصة بعد مجئ الكساد الكبير في اواخر الثلاثينيات وأوائل الاربعينيات، وابان الحرب العالمية الثانية، فيما يروي! وظل عبد الله الطيب يشتكي من الحساد وعدم وفاء الأصدقاء والخلان طيلة حياته، كما ظل يحس في قرارة نفسه انه الوحيد المفرد:

من قصيدته (هل أعرف النعماء)، يقول عبد الطيب، شاكياً دهره[23]

بيت شعري هل أعرف النعماء فالاقي عما رزقت عزاء

كل يوم يجن ليل بدير لا أرى في سواه قمراء

ما توسمت مزنة تحمل الغيث أما هي إلا سقت نكباء

[23] عبد الله الطيب ذلك البحر الزاخر، قصيدة هل اعرف النعماء، دار الطباعة والنشر، الطبعة الثانية 2004م، ص: 7

وحبيب احبته سر قلبي عليه يسمح الرضا والوفاء

يرتع الأرزلون في جنة الخل وأصلي السموم الرمضاء

اليس الوجه منظرا خالب اللون ودس الخلائق النكراء

وصديق اعددته للبلايا صار عندي مع البلاء بلاء[24]

ويقول عبد الله الطيب:

عظني فإني في ظلام دامس ابكي على رسم الحياة الطامس

فلعل لي مما وعظت داية تذكى الرجاء على فؤاد يائس

عظني ففي انغام صوتك رنة تجتاز لين مثل نار القابس

ويمدها من نور طرفك رائش يندس بين خواطري وهواجسي

وتصوفها آيات وجهك سورة غراء تبهر كالنهار الشامس

هذي جراح تستطيع شفاءها في قلب منحطم المطالع يائس

فانشر عليها من ردائك بهجة تمحو بها اثر الزمان العابس

يا من تقلب في السعادة ناعماً واطل من روض الشباب اليائس

ما حبب الايمان عندي غيرها اسقيه من جفنك المتناعس[25]

فاسكب فإن معين حسنك ناسك ما بت فيه من الشفاء الخالس

تلمح في هذه القصيدة نفس الشعور باليأس ونفس الشكوى من زمان بائس ومن دهر عابس.

[24]/ عبد الله الطيب ذاك البحر الزاخر ، الطباع الثانية ، الصدارة ، ص 25 ، دار الخرطوم للطباعة والنشر

[25]/ عبد الله الطيب ، صقط الزنج الجديد ، دار الخرطوم للنشر ، 1976م ، ص 58 ، قصيدة عظني

تعج دواوين عبد الله الطيب الشعرية خاصة اصداء النيل من مر الشكوى من حسد الحساد، وكيد الاعداء والمتآمرين. ليس بسبب سوى تفوقه العلمي، وتفرده في الاداء وفي السجايا والأخلاق، كيف لا وهو سليل الاسرة المرموقة من سادة الجعليين وهم مجاذيب الدامر، وبركة الجعلين من أحفاد عبد الله (بركة الجعلين) ويشهد كاتب هذه السطور ان عبد الله الطيب كانت له خصومات وعداءات كثيرة في جامعة الخرطوم، عندما كان عميد كلية الاداب وكذلك عندما صار مديراً لها.

إن جامعة الخرطوم كانت منذ ميلادها 1956م، كجامعة مستقلة، تتميز بادارة قوية متضخمة من الاداريين والفنيين، وكان هؤلاء لحد كبير يغيرون من الشكل الاكاديمي بالجامعة الأسباب منها:

1/ كان للاكاديمين مخصصات كثيرة، لا يتمتع بها الاداريون، ومن ذلك الانبعاث الفوري إلى اوربا والولايات المتحدة الامريكية واليابان لنيل الماجستير والدكتوراه مصحوبين باسرهم.

2/كانت مرتبات الأكاديمين أعلى من مرتبات الاداريين وكذلك كانت ترقياتهم سريعة جداً في البداية كان المعيار الوحيد للترقي هو الأبحاث، واستطاع بعض النابغين من الأستاذة أن يرتقوا إلى درجة الاستاذية في فترة قياسية وهو صغار السن منهم:[26]

المرحوم محجوب عبيد، وكذلك البروفيسر محمد عبد الكريم وغيرهم.

3/ ربما كان من عيب بعض الاكاديمين انهم كان ينظرون إلى الأداريين بانهم اقل منهم في القدرة الاكاديمية او انهم من الذين فشلوا في الانضمام إلى السلك الأكاديمي، لانهم لم يستطيعوا الانضمام إلى صفوف الشرف العليا أو لم يستطيعوا احراز درجات عالية كالدرجة الاولى شرف او الثانية العليا شرف.

[26]/ نفس المرجع ، ص 84

4/ من ناحية ثانية، كان الاكاديميون يشكون من أن الاداريين يحسدونهم، لذلك كان هؤلاء الإداريون يحاولون اساءة معاملتهم.

فقد كان معظم الاداريين لا يحبون عبد الله الطيب. ومن اسباب هذه الخصومات التنافس على منصب مدير جامعة الخرطوم.

وكانت ابحاثه تملأ الافق نبوغه واسهامه في الحياة الثقافية في الدولة لا يختلف عليه اثنان بالرغم من ذلك لم يصبح عبد الله الطيب مديراً للجامعة إلا في عهد الرئيس نميري ومدته قصيرة لم تتجاوز السنتين.

يقول الدكتور عبد الله الطيب:

لابأسفالناساعداءاللبيب قدانذرتك فلم تحفل بعد النذر

وكم صبرت على ضر الحوادث والحر الكريم على البأساء يصطبر

وكم مضت صديقاً بين اضلعه جمر العداوة لا ينفك يستعر

وناصح لك داري القلب من صدر يبقى اخاك فما يبقى ولا يذر[27]

اوليته منك سمع المطمئن له وقد تطاير من مكروهه الشرر

هم العدو لهم كيداً والسنة ينفذون بالوخز ما لا تنفذ الابر

يا أيها الوطن الساعي تدفعه كف الخيانة والاعداء والقدر

ومثل هذه القصيدة المتشائمة، شديدة اللهجة، سيئة الظن بانه كلهم بلاشك تفسير لنا بعض المعارضة التي وبعض الخصومة الشديدة التي كانت تقابل عبد الله الطيب،

[27]/ نفس المرجع ، ص 84

وبسبب هذه الخصومات التي كان الناس بعضهم أو معظمهم من جامعة الخرطوم يحملونها لعبد الله الطيب، لم يستطع ان ينافس في نيل منصب مدير جامعة الخرطوم برغم عطاء الابداعي الرفيع والاسهام الفكري والعلمي لعبد الله الطيب، إلا انه قد عانى اثناء عمله جامعة الخرطوم في عهد الصراعات الحزبية الجائرة من معلومات ظالمة مجحفة تجاهه عندما احتدم الخلاف بينه وبين نفر من خصومه الحاقدين عليه في الجامعة فتكتلوا ضده وسعوا إلى محاربته في عمله ورزقه.

وكان من جراء تلك الحملات القاسية ان يقرر عبد الله الطيب الهجرة إلى نيجيريا حيث اسس كلية "بايرو" في "كانو" وقد تحولت هذه الكلية فيما بعد إلى جامعة مكتملة.

ويقول عبد الله الطيب:

ولقد شكوت إلى المهمين انني افردت وحدي والعدو مثير

ولقد صبرت على العدو وكيده صبراً جميلاً أني لصبور

ولمحن ضوءك واهتديت ولاح لي صبح وراء النيرات منير[28]

في هذه الابيات يبتهل عبد الله الطيب إلى المولى عز وجل ليحفظه من كيد الحاسدين والأشرار وان وصف الأشرار حوله .

ويقول ايضاً:

ويا للناس اعداء تراءوا باصناف المحبة والوداد

ولو كشفتهم لوجدت منهم سواد المقر في ملف الفؤاد

وكيف نتوق للعلياء نفسي إلى الانام مسلسلة القياد

[28]/ ذكريات و وقفات مع عبد الله الطيب ، ط1 ، الخرطوم للطباعة والنشر ، الصادرة 2003م ، ص 118

وكيف يبلغ الانسان خيراً وتصبح تخير انسدس ايرام

ومن طلب المحبة فهي أمر تقطع دونه المهم العظام

وما يبقى الشيوعين إلا وقود الحرب أن قالوا السلام

وما يبقى الهدى الأخوان يوما وان لبسوا مسوحهم وآموا

فلا تخدعك السنة عذاب بوطنهن فيهن السمام

ودع عنك السياسة أن منها ربيعاً نبتة القوم اللئام

في هذه القصيدة يبادر عبد الله الطيب بجميع العداوة والهمز واللمز "شيوعين و "اخوان مسلمين" ولا يرى في الدنيا غير هؤلاء الشيوعين كانو ينصبونه العداء وكذلك العلمانيون، اما الاخوان المسلمين كانت شله كبيرة منهم تكن له كل المحبة ،وكل الوداد وتعتبره علامة العصر وهو يهاب الانغماس في السياسة ويرى أن السياسة كلهم قوم لئام.[29]

إعتلال صحته:

لقد مكث عبد الله الطيب برفقة عقيلته السيدة (جوهرة بضعة أيام في المملكة العربية السعودية بعد تكريمه واستلام جائزة الملك فيصل العالمية للآدب، والقى محاضرة بعنوان "من تجاربي في الآدب والتأليف" في يوم 14 صفر 1421هـ الموافق 8/مايو/2000م، ثم عاد الاديب الكبير وعقيلته إلى السودان وأمضيا فيه اسبوعاً، وقررا السفر إلى انجلترا لقضاء فترة راحة واستجمام فوصلا مدينة لندن ي يوم 11/5/29 وفي مدينة لندن بعد ان استقر الزوجان في شقتهما هانئين سعيدين تبددت سعادتهما فجأة فلم تدوم طويلاً إذ احس الأديب الفني عبد الله الطيب في منتصف

[29]/ عبد الله الطيب ، ذاك البحر الزاخر ، الطباعة الثانية ، صادر 2004م الخرطوم للطباعةوالنشر ، ص 86

ليلة ذات اهمية كئيبة بالآم مبرحة تجتاح بدنه وبصداع حاد وبخدر مباغت يسرى في أوصاله ويصيبه بالشلل، فايقظ عقيلته جوهرة من نومها، وادركت ما اصاب زوجها من اعراض مرض خطير، فاسرعت إلى الهاتف تستدعي سيارة اسعاف، لإنقاذ زوجها من براثن الداء الوبيل بعناية الطبيب والعلاج الناجح الشافي .. في مستشفى "لوبشام"، الجامعة ثم إجراء التحاليل والفحوصات اللازمة التي اثبتت حدوث نزيف حاد في المخ وكان ذلك الحدث الاليم في اليوم الثامن من شهر يونيو 2000 "حسب إفادة السيد جوهرة" وقد توقف النزيف بحمد الله تعالى بعد 24 ساعة من حدوثه، ولكن آثاره الوبيلة الضارة قالت ملازمة لعبد الله الطيب والزمته فراش المرض لمدة 15 يوماً بمستشفى "لوبشام" الجامعي في قسم العناية المكثفة".[30]

وفاة عبد الله الطيب:

كيف أذنت شمسه بالرحيل؟

قال جعفر حامد البشير:[31]

ماذا عساي أن اقول ماذا عساي أن أكتب والهول أكبر وأعظم من كل هول ومن كل هول أن شمس الشموس قد اذنت بالمغيب وهي تسابق شمس الخميس التاسع عشر من ربيع الثاني 1424هـ وهو التاسع عشر نفسه من يونيو 2003م ويونيو كذلك هو شهر المرحلة الاولى من الأحزان ففي يوم الخميس التاسع من يونيو عام 2000م غاب في لندن الفكر الوقاد والعقل النقاد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وري جثمان عبد الله الطيب الثرى في مقابر حلته حمد في شمال الخرطوم في موكب شارك فيه الآلاف من الموظفين يتقدمهم تلاميذ وكبار المسئولين واساتذة

[30]/ ذكريات و وقفات مع عبد الله الطيب ، مصطفى عوض الله الطبعة الاولى ، دار الخرطوم للنشر ، 2003م ، ص 27
[31]/ ما بعد الرحيل الاخضر عبد الرحيم حسن ، الطباعة الاولى الخرطوم للطباعة و النشر ، 2003م ، ص 32

الجامعات والأدباء والمفكرين في السودان وقد نعته الحكومة وكذلك السفارة السودانية في لندن[32].

السودان يشيع:

احد ابرز علمائه في اللغة والشعر والادب:

كتب: امام محمد:توفى عبد الله الطيب رئيس مجمع اللغة العربية في السودان وعضو المجامع اللغوية في عدد من الدول العربية، بعد صراع طويل مع المرض استمر اكثر من عامين وبوفاته فقد السودان عالماً جليلاً وأديباً عظيما وشاعراً كبيراً .[33]

((اكتب هنا لارثي[34] عبد الله الطيب، الذي وصفه بعضهم بالنهر الثالث في السودان، صنو النيلين الأبيض والأزرق، وهو وصف بديع، ولكن قلت في نفسي إن عبد الله الطيب االذي عرفته اكثر من ذلك، إنه بحر زاخر، بحر مغدق بالخيرات وبالآلات وبالكنوز التي لا تقدر بأثمان ولا بالأموال ،مهما نمت وكثرت فهو كنز فريد، ومن هنا كان فقده اليما، وكانه لوعة فراقه عظيمة، ولواربقت عليه الشؤون وأجريت عليه الدموع انهارا وقيل له!انني اكتب لأرثي فريد زمانه،وواحد أيامه الإنسان النبيل،والوجدان المطور بمعاني الحياة والفكر،الذهن الثاقب والنجم الزاهد.

إذن فنحن حين نرثي عبدالله الطيب،فإننا نرثي انفسنا،فان الفناء هو سبيل الاولين والآخرين،ولو كان في الارض خالدا لكان سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم،ولكان إبراهيم عليه السلام وكان اخوانهم من الرسل والأنبياء والصديقين والشهداء

---

[32]/ ما بعدالرحيل الاخضر ، الطباعة الاولى ، الصادرة 2003م ، ص 15

[33]/ ما بعد الرحيل الاخضر ، الطباعة الاولى الصادرة 2003م ، ص 14

[34]/ مقال للاستاذ عبد المنعم عبد الله المكي – نشر في جريدة الرأي القطرية – الثلاثاء 24 ربيع الاخر 1424ه الوافق 24 /6/2004م

إذن فلا بأس علينا أن نحن رثينا عزيزاً علينا غيبه المغنى ونحن لما نشيع بعد لقائه، ولاقنعت نفوسنا من نواله وعطائه، الذي كان بهجة الدنيا وزهرة الايام. ولو كان لنا أن نتمنى خلود من اساتذتنا في هذه الدنيا لتمنينا خلوده ففي النفس حاجة من علمه لم تقف، وفي الفؤاد اشتياق إلى وداد وظمأ إلى أفكاره العبقرية، كما ينطفئ بعد، وفي النفس لوعة إلى نوره وطلعته البهية الباسمة دوماً لم تنقض، وانا اتمثل فقدري اياه اتذكر ابيات صناجة العرب وحكيمها، لبيد بن ربيعة العامري:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

فلا جزع أن فرق الدهر بيننا وكل فتى يوماً به الدهر فاجع

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

ولقد عكف عبد الله الطيب على شرح الآيات القرآنية الكريمة وتفسيرها باسلوبه السلس العميق من خلال برامج إذاعي يومي مستخدما اللهجة السودانية الدارجة لتقريب المعاني القرآنية الجليلة إلى وجدان وفكر المستمعين في كل انحاء السودان.

وقد اصدرت الدار السودانية لكتب بالخرطوم كتاباً بعنوان "تفسير جزء عم" لعبد الله الطيب تضمن تفسيراً وشرحاً لمعاني اكثر من ثلاثين سورة من القرآن الكريم باسلوبين "الفصحى والدارجية السودانية"

طيب الله بذكر الاديب عبد الله الطيب الراحل، ونسأل الله تعالى أن يغفر له وأن يتقبله عنده بقبول حسن ويشمله بواسع رحمته بقدر ما أدى للعربية، والاسلام في السودان وسائر بلاد العرب والعروبة من أعمال[35].

[35]/ ذكريات ووقفات مع الاديب عبد الله الطيب ، مصطفى عوض الله ، الطبعة الاولى ، الصادرة 2003م ، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ، ص 107

الفصـل الثالث

المبحث الأول

عبدالله الطيب شاعراً

عبدالله الطيب ومراحل شعرة :

ظهرت لعبدالله الطيب الدواوين التالية:

1/أصداء النيل طبعة أولي, 1956م

2/اللواء الطاقة ,1968م

3/بانات رامة ,1970م

4/أغاني الأصيل ,1976م

5/سقط النزند الجديد ,1976م

6/برق المدد, 1996م

ظهرت له قصيدة مطولة (ملتقى النيل) على نسق (برق المدد) لم تنشر .وقد تحدثت عنها في عدة مقالات ' ثم له دراما شعرية (ثلاثية البرامكة), وأشعار متفرقة ظهرت في أمثال كتبه (إلتماسة عزاء) ومن (نافذة القطار) أودعني مخطوطة درامية (زمهر)يغلب عليها الشعر ، ويظهر من هامش المخطوطة أنها كتبت قبل الاستقلال . تتالي الزمن الذي ذكرته لدواوينه السالفة ,يعكس نسق ظهورها مطبوعة، لكنه لايعكس التسلسل الزمني الذي نظمت فيه قصائد هذه الدواوين ,بل لايعكس التسلسل الزمني للدواوين نفسها. وهو أمر نجمت عنه البلبة التي حاقت بنقد شعره لاحقاً . يلفت النظر كذلك أن عبدالله الطيب[36] تأخر كثيراً في نشر شعره ماعدا بعض القصائد التي نشرت في الصحف متفرقة في بداية الأربعينات .

[36] / عبد الله الطيب في مقالات و دراسات ،محمد الواثق ، الطباعة الاولى ، هيئة الخرطوم للصحافة والنشر ، 2013م ، ص 87 - 88

سقط الزند الجديد :

كان (أصداء النيل) أول ديوان يطبع لعبد الله الطيب وليس بأقدم شعره(سقط الزند الجديد) يمثل أول شعر لعبد الله الطيب لكن كان آخر ديوان يطبع له قبل (برق المدد), ذكر في مقدمة هذا الديوان أنه نظم شعره (سقط الزند)بين سن الخمسة عشر والخامسة والعشرين. ولد عبدالله الطيب في 2يونيو 1921 فتكون أولي مراحله الشعرية 36-1947م .غير أنك إذا نظرت إلى(أصداء النيل) تجد أن قصائده تبداء من عام 1942م , فيكون هنالك تداخل بين ديواني (أصداء النيل) و(سقط الزند الجديد).

شعر عبدالله الطيب في هذه المرحلة كما يعكسة (سقط الزند) كان يحمل سمات فترة الثلاثينات إلي قيام الحرب العالمية الثانية . كانت هذة الفترة تعشوا للحداثة في شتى مناحيها من مسرح موسيقي ورسم وتتوغل في قراءة الأدب الغربي والإنجليزي بصفة خاصة (راجع (موت دنيا) لمحمد أحمد محجوب) ساير عبدالله الطيب هذه الحداثة في (سقط الزند الجديد) . تغيرت التراكيب الداخلية للشعر , وتنوعت القوافي ومالت أوزانه إلي الأوزان المجزؤة والقصيرة وساد بحر المديد ومخلع البسيط وجاءت القصيد في شكل مقطوعة :(راجع قصيدة غرق الشعر في هذا الديوان).

رب شعر صابني غدقه

من سلاف الراح إغتبقه

كم سهرت الليل مرتقباً

فجره حتي بداء فلـقه

راجع كذلك قصائده (رحلة عاصم , سجى الليل ، كيوبيد ، متسولة ، سهمان)[37]

شعر عبدالله الطيب هنا تماوج بالحداثة والعصرية التي نفر منها في (بانات رامة) و(أغاني الأصيل). نهجه في (سقط الزند الجديد) يجعله ألصق بشعر خليل مطران ,وعبد

[37]/ نفس المرجع ، ص 88

الرحمن شكري , والعقاد , ومحمد أحمد المحجوب ويبعد به جداً عن أمثال الرصافي والزهاوي والبناء وعبدالله عبدالرحمن من السودان.

لما تأخر طبع هذا الديوان إلي عام 1976م فاته صراع ونقد زمانه وتعرض لنقد بيئة جديدة لم ينتج فيها ، وانسحب علي النقد الذي وجه (أصداء النيل) و(بانات رامة) .تسمية الديوان بعد أن فاته إصداره في ميقاته لا تخلو من أشكال .لم تأت التسمية وليدة في وقتها إنما هي أمراً تمعن فيه بعد أربعين سنة من نظم قصائده .وهي الفترة التي رجع فيها إلي القصيدة الجزلة والوعرة أحياناً يقول في سبب تسميته:(....استقر رأي بعد إجالة فيها على تسميته ب (سقط الزند الجديد) يعني أول مايتساقط من نار الزنادة) بمعني آخر لما كان السقط وهو الشرركان أول مايخرج عن قدح الزند ,وكان هذا أول شعر ينظمه سماه ب(سقط الزند) مقتدياً بالمعري.

الديوان لا يحمل وشيجة تمت للمعري بكبير صلة،والتسمية قد تسبب بلبله للقارئ الحديث المتعجل الذي يظن من نظرة عجلى للغلاف أن الكاتب يندرج تحت مؤلفات عبدالله الطيب العلميةالأمر كذلك لايخلو من شوشرة آخري . كل دواوين عبدالله الطيب لاتخلو من مقدمة حبلى بعلم غزيرلايقل أهمية عما نجد في كتبه العلمية . تكشف هذه المقدمات عن جوانب في الدواوين لاتستقيم قراءتها إلا بها بيد أن المقدمة تسبب أحياناً بلبلة عندما يفرض عبدالله الطيب نفسه ناقداً لشعره.... يقول في بعض فقرات [38]

مقدمة (سقط الزند الجديد) (كنت مفتوناً بالبراعة العصرية والتجديد في أوائل عهدي بفورة الشبيبة وثورتها وتطرفها . ننظم المسرحية لنفوق شكسبير , وننظم الملحمة لنفوق هومر) .

يبدو لك من قوله هذا وكان شعر (سقط الزند) مصطنع لهذه الدواعي مع أن شعره هنا يعكس سلاسة في نظمه لم تملها دواع خارجية ،وموضوعاته التي فرضتها تلك الحقبة فجاء شعره ملتبساً بها . شعر عبدالله الطيب في هذا الديوان برئ مما فرضه عبدالله الطيب الناقد لشعره

[38]/ نفس المرجع ، ص 89

أصداء النيل:

ديوان (أصداء النيل) هو أحب شعر عبدالله الطيب إليه ،يقول في ذلك :(هو من أحب مانظم إلي،وبعد رد ذلك أنه كتب في أوج من نضج وشباب ،وصدر عن حدث صدق وشعور واحد عميق ,وعشق لفصاحة العربية وجزالة الشعر) طبع :1992،89،69،60،57م ,وتجدد المقدمات عندما تتجدد الطبعة ماعدا الطبعة الرابعة .

صدر الديوان وقد أصاب عبدالله الطيب الشهرة التي ارتبطت بصدور الجزء الأول من كتابه (المرشد إلي فهم أشعار العرب) ،ثم شرح أربع قصائد لذي الزمه وثلاثية (نكبة البرامكة)الدرامية. كتب طه حسن مقدمة لكتاب (المرشد) نوه فيها بعبقرية صاحبه ،ثم كتب مقالة في جريدة (الجمهورية) اعترض فيها على أشياء في لغة الديوان ومضمونها نرجع لها لاحقاً .يقول عبدالله الطيب إن شعر (أصداء النيل)هو مختارات من الشعر الذي نظمه قبل عشر سنوات من طبع الديوان، وعلى هذا تكون فترته 46-1956م غير أنك تجد في مقدمة الطبعة الرابعة تحديد آخر لفترة شعر الديوان (فهو مختارات من الشعر الذي نظمه فيما بين أوائل الأربيعنات وآواخر الخمسينات).

يبدو أن عبدالله الطيب كان قد أراد أن يضمن شعره الأول كله في سفر واحد ،ثم عنّ له بعد ذلك أن يجعل شعر الصبا الأول في ديوان منفصل (سقط الزند الجديد) فانفصل بهذا (أصداء النيل) ليمثل المرحلة التالية لسقط الزند.[39]

وتغير شكل أصداء النيل مابين الطبعة الأولى والخامسة إذا وازنت بين الطبعة الأولى والطبعات الاحقة وجدت أن عبدالله الطيب أسقط أربعة قصائد ظهرت في الطبعة الأولي وهي قصائده (صابر ،الجابودي ،مكاني لندن 1945م) بعد أن حذف القصائد الأربعة أضاف 59 قصيدة للطبعات اللاحقة (راجع فيها درس الطبعات المختلفة) لما تمعنت في

[39]/ نفس المرجع ، ص 89 – 90

أمر الحذف والإضافة وقر في نفسي أنه يتعذر على ديوان تحذف منه أربعة قصائد, وتضاف إليه تسعة وخمسون قصيدة أن يحافظ علي هيئته الأولى .

وينتابني إحساس أولي أنه لابد أن يكون(أصداء النيل) مسمي لعدة دواوين تحمل ذات الاسم .التغير والحذف في الديوان قد يشمل طول القصيدة أو تغير تركيب بعض أبياتها .قد يكون هذا التغير خطيراً إذا مس مبدأ سياسياً كان قد ارتضاه عبدالله الطيب سابقاً ثم عدل عنه كان قد صدرت له قصيدة (الوطن الضائع) في الطبعة الأولي وفيها البيت :

وإنى لأخشى ان أرى النيل في غد

شريعة مصر علها وانتـــهى لها

غير (عبدالله الطيب "شريعة مصر" إلى "شريعة قوم" في طبعة لاحقة. وتغير النص يرجع لاعتراض طه حسين عليه . يقول عبدالله الطيب في مقدمة الطبعة الرابعة :(أخذ على الدكتور طه حسين مافي النص الأول من التعريض بمصر ، وكانت هذة القصيدة قد نظمت عام 1945م . وكان الاتجاه نحو دعوة الاستقلال ذلك الزمن عاما ,وكنا نظن موضوع مياه النيل موضوع كرامة وطنية ، ونحسب أن لمصر مطامع إستعمارية, وما كنا ندرك أن قضيتنا وقضية مصر واحدة ، وهي قضية الإسلام والعروبية ...) لهذا غير عبدالله الطيب الكلمة ويدل تغيرها علي تغير النظرة السياسية .[40]

شاع جداً الثناء علي مصر بعد ذلك في الدواوين الاحقة (بانات رامة)و(أغاني الأصيل) عندما يجد عبدالله الطيب القصيدة حادة يعود إلى بتر أجزاء طويلة منها في الطبعات اللاحقة وابرز مايكون ذلك في القصائد التي ترثي من قتلو من أصحابه في أحداث التمرد في جنوب السودان 1954م راجع قصائده (دمعة علي خدين 1954م) وقصيدة (ثورة حزين).

[40]/ نفس المرجع ، ص 90 – 91

فترة الديوان كما حددها اولاً 1946-1956 شهدت إبتعاثه إلى لندن 1945م وزواجه من السيدة جريزلدا (جوهرة الطيب) عام 1948موقد تركت لندن أثراً واضحاً على (أصداء النيل) كثرت القصائد جداً في الديون ,القصائد التي تحمل لندن عنواناً (راجع قصائده مزدوجة في نعت لندن 1945م ,إلى لندن دون تاريخ، لندن 1945م ,البدر في مانشستر).

إن لم تحمل القصيدة عنوان لندن فموضوعها يعلق بلندن مثل :(في قطار انجليزي 1946 الكأس التي تحطمت 1946م, بنات إنديز مأساة سرتسي خاما)وهذا على سبيل المثاليمور (أصداء النيل)بصور لندن التي رسمها عبد الله الطيب رسماً دقيقاً سواء تمثل ذلك في ضباب شتائها أو المناظر التي تترى في ومضات قطار مسرح , أو الهواجس التي تنتاب الشاعر إذا ألم إلى مخدعه وطافت به صور أهله في التميراب ,يتسربل كل هذا بالأصداء التي تركها النيل بعدما صار نهراً ينبع من مخيلة عبدالله الطيب ينساب مرة في لندن ومرة في الخرطوم ،وصدى النيل يصير صدى لهواجس عبد الله الطيب يرتبط جلها بذكر غرق شقيقه حسن (1934م)، ولاذي لا يخلو له ديوان من الاشارة إلي ماساته بعض قصائد هذا الديوان بالغة الاهمية في مسار شعره وحياته لا سيما قيدتاه (مزدوجة في نعت لندن) والكأس التي تحطمت) في المزدوجة يظر ارتباكه عندما قذفت به الاحداث من قرية التميراب إلي قلب لندن في ووترلو حيث الكتل الخارجة من مترو الانفاق (يخاف إن تصدمه سيارة فالمشي يحتاج إلي مهارة)41

يرتاب عند دخوله المطاعم ، الأطفال ييكون هند رؤيته :

أختلس المدخل في المطاعم

خشية طرف عاذر أو لائم

وحادج بطــرف من طرفه

41/ نفس المرجع ، 92 – 93

وباسم يشـــــعرني بعطفه

فطن إلي سواد سحنته في لندن:

وذات طفل اسكت صـــغيرها

لما رات من سحنتي ديجورها

وجذبة سواد بنا جزر الهند الغربية قصيدته (بنا انديز):

بنات انديرز الحسان السمر في الغلائل

يهمسن بالفتنـــــة في الاذرع والانامل

شعورهن هدب النخل على الجداول

تكشفت له لندن بعد حين عن مآس كثيرة: ما تلفظة لندن من سكاري في حانات السود ، والبغايا اللائي تزوقن بالاصباع الكثيفة والملونون الذين عذبتهم لندنز.

وحانة يسر فيها بالاســـى ويعلن

من قبعات غيلات شفـــاة ترطن[42]

صبغ البغايا كشـــــرن مســهن خشن

يايؤس للملـــــــــونين عذبتهم لندن

ذكرت في مقالات سابقة، إن عبد الله الطيب كان أول الشعراء المعاصرين الذين انتبهوا إلي التمييز العنصري المرتبط باللون، تله ذلك في قصيدة صلاح أحمدابراهيم .كان عربياً صرفاً في قصائده السابقة ثم انتبه إلي سواد لونه في لندن .لا يخامرني شك أن مقولاته التي تتالت في الحق حياته تبحث عن السواد والشعراء السود في جزيرة العرب تسلسلت من هذا الانقلاب الذي حدث في لندن . لا ارتاب كذلك

[42]/ نفس المرجع ، ص 93 – 94

إن فكرته الكبيرة عن إن السواد هو الغالب في الجزيرة العربية لنزوح الافريقيين المتتالي لها (جيش ابرهة) ،وان الحبشة التي هاجر لها المسلمون الاوائل هي السودان ،لا ارتاب إن مبعث هذه الافكار كان وجوده في لندن واكتشافه لسواده هناك.

معظم شعر (اصداء النيل) لا يعدو إن يكون امتداداً لشعر (شقط الزند الجديد) من حيث يحاول يجاد الشكل الخارجي الجديد، والموضع العصري للقصيدة (كيوبيد ، متسولة ، سجي الليل رحلة عاصم) قصيدة (الكاس التي تحطمت) في (اصدراء النيل) هي اجرا شكل شعري يظهر في شعر عبد الله الطيب قاطبة. في هذه القصيدة تجد ذلك الفتى الأسود المتوجس من خطا يرتكبه والأنظار التي ترصده وتتوقع منه الهفوة كي تتصيدها عند دخوله الفندق الانيق في مدينة ليدز :

تـرى تذكـــــــــــــــر لمـــــا أن

دخلنا الفنـــدق الشـــــــــــــامخ[43]

ذاك الفـــــــندق الشامـــــــــــــخ

فـــــــــــــــي ليـــــــــــددز

ذاك الهـــــائل المـــــــــــــــرعب

كنا معا انت واليـــــــــــــانوس

والاخـــرى التي تصحب اليـــــانوس

حدث ما كان يحذر منه الشاب الأسود المتوجس يخر الكوب المترع يتحطم ويتناثر ويندلق السائل فيصاب الشاب بالوجوم وتتابعة الأبصار .

[43]/ نفس المرجع ، ص 94

واذا الابواب والانوار والسقف عيون

وحسيس هامس تسمعه الجدران

والشارع والشرطي همس

واستياء

فتجلدت على الكرسي حينا

ونسيت الشعر موزونا

رصـــــــــــينا

وتلفت الي الاعذار

منهـــــا ما يواتي[44]

أشر في مقالات سابة اليأن هذه القصيدة اقدم من شعر التفعيلة الذي ظهر لنازك الملائكة وبدر شاكر السياب . االمر هنا ال يتعلق بجدوى التفعيلة او المواقف المتباينة التي اتخذها النقاد حيالة بقدر ما يعتلق بتاريخ الشعر المعاصر وعن السؤال متى بدأ شعر التفعيلة وكيف تأسس. (الكأس التي تحطمت) أقدم شعر من هذا النمط فيما قرأت، وغيب الامر ان ديواني : (اصداء النيل 1956) ،(وسقط الزند الجديد 1976م)ظهرا متأخرين جداً . ل عبد الله الطيب قصائد اخرى جاءت علىهذه الشاكلة ،راجع قصائده (الدب والدولار ياسدرة بالتل (دون تاريخ) ،ولندن 1945م

انطبع عبد الله الطيب في المرحلة الاولى بشعر الحداثة ،ثم نفرت منه نفسه .يقول في ذلك في مقدمة الطبعة الرابعة (اصداء النيل): ((حاولت الشعر التارك

[44]/ نفس المرجع ، ص 94

للقوافي والمالوف الاوزان تحت تاثير ما كنا نقرأ في الشعر الانجليزي وأنا في اوائل العقد الثاني واوائل العقد الثالث ، ثم نفرت النفس عن ذلك نفورا)) يضيق عبد الله الطيب بعد ذلك بشعر الحداثة يقول: (إن هذا ضوضاء وضجيج... ذلك انه مرتب على خلط بين اللغة والموسيقي).

صار حرباً بعد ذلك على شعر الحداثة، وبدا بنفسه فنفى او اعدم قصائده التي اتسمت بالحداثة، منها قصيدته (لندن 1945م) التي لم تظهر في طبعات (اصداء النيل)اللاحقة. ابقى علىقصيدة (الكاس التي تحطمت) لكنه شن عليها حربا في كل مقدمات (اصداء النيل)المتتالية، يتعلل تارة بأنها من الشعر الذي املاه تحدي شكسبير، وتارة ينفي انها من الشعر الحر [45].

مرحلة التازم والحدة والانسحاب :

اللواء الظافر، بانات رامة واغاني الاصيل :

نال عبد الله الطيب شهرة دواية بعد ان ظهر كتاب (المرشد)- الجزء الاول- وكتب له طه حسن مقدمة يقول فيها :(هذا كتاب ممتع الي ابعد غايات الامتاع لا اعرف ان مثله ايتح لنا في العصر الحديث) كانقد تعين استاذ بجامعة لندن 1950 انتقل بعدها الي بخت الرضا ثم جامعة الخرطوم .اشعاره في هذه الفترة كانت تنبئ عن وشك التصادم بين هذا العالم المتميز وبين اوضاع في السودان وسودانيين لم يكونوا متميزين .بعض هذه الاعمال الشعرية تبرعمت في (اصداء النيل) ثم تكاثفت لتصبح منهجا شعريا فيما بعد

بكيت على بلادي حين سارت

[45]/ نفس المرجع ، ص 95

تخبط من يباب في يبـــــــاب

ولاسنــة من الجهلا هوج

تعثر حائرات في سبـــابي

سيفنى الازذلون غدا وابقى

بقاء النجم الصخر الصلاب

تقدم للانتخابات لمنصب مدير جامعة الخرطوم فاقصاه المتامرون، كما رأي ،وفيهم من كان أنهم من خاصة بطانته [46]. تازم جدا لهذه الحادثة، وتازم معها شعره ولحقته لم تكن معهودة فية لازمته لفترة طويلة في حياته .كثر حديثه بعد ذلك عن الحساد والاراذل والجهلاء، ولا يمتنع عن نعتهم بأبناء الزنا وأبناء الإماء ،وكثر هذا جدا في ديوان (بانت رامة).

ديوان (اللواء الظافر)اربع قصائد كانا اول رد فعل لاقصائه عن منصب دير الجامعة جاء في قصيدة اللواء الظافر وبها يسمى الديوان:

وقفت كما رفع اللواء الظافر

وجبينها حد السنان الباهر

اما ترينـي كالحسين مضرجا

بدم الشهيد فذاك فوز ظاهر

وفي قصيدة (الخميس الزاحف)

يا ام عمـــــــرو ان داري مسجد

[46]/ نفس المرجع، ص 95 – 96

وانا الفتى والعبقري الاوحد

كي يبعدوني فالمباعد ابعد

ترك عبد الله الطيب السودان وانسحب الي نيجيريا تصحبه الأزمة وما ترتب عليها من حدة. معظم قصائد ديوانه (بانات رامة) وهو ما كان قد نظمه في نيجيريا، وهو ما قد تكاثفت فيه الحدة. لعل اعنف قصيدة فيه كانت (المناة والمتعزل) وهي القصيدة التي ودع بها السودان [47]**يقولون لي هلا تقيم على الحى**

حمى العلم ان العلم اكرم منزل

فقلت واين العلم ليست ديـــــــارة

هنا ها هنـــا ارض الخنا والتبذل

ولعلة كاد يستبدل وطنه بمصر وكنو في قصيدة (جسر النيل) و في ديوان (أغاني الأصيل) كنت قد ذكرت في كتابي (الشعر السوداني في القرن العشرين) أنه ووجه بمكائد أبناء الكيعات كما ذكر في قصيدته :

يا دار مية ذات المربع الشاتي

من ديوان (بانات رامة) ،فكاد يشله الإحباط، فانسحب إلي الكتب ثم صار يلوذ بالرسول (صلى الله عليه وسلم) في كل أشعاره ،صار يذكر حجته 1964 في أشعاره ،كثيراً يلوذ بأهله الصالحين، يذكر غرق أخيه حسن الذي جدد عليه حزنه وذكره بيتمه القديم، وصار أيضا يذكر أباه الذي توفي وعبدالله الطيب حدث، وقد يذكر كل هذا في القصيدة الواحدة .

[47]/ نفس المرجع ، ص 96 – 97

ديوان (بانات رامة) عج بالقصائد الطوال خلاف قصائد (اصداء النيل) التي كانت قصيرة . عجب الأيام والدهر، الوعد الذي جحدوا ،المناة والمتعزل ،الدمن الخوالي، يا دار ميه ،ولعل أكثر إن لم تكن أجودها قصيدة (جوس) بنجيريا [48].

عرج على جوس واذكر عندها الوطنا

إن الجبال بجوس هجن لي شجنـــــا

لا شك أن كتاب (المرشد) قد أثر كثيراً في شكل القصائد التي جاءت بعد كتابته. تجد في أول كتاب (المرشد) باب القوافي أنه قد وجد المسمطات أقل شأنا من سائر الشعر القديم ، ومن باب أولى مسمطات الشعر الحديث .يحاول (المرشد) ان يرد القصيدة لزيها الموحد القديم ، فارتدت قصائد (بانات رامة) الي هذا الزي الموحد شكلاً .

أغاني الأصيل :

لاحظ عبد الله الطيب إن قصائد (بانات رامة) طولا فتلافي ذلك في قصائد (أغاني الأصيل) ،كما ذكر ذلك في مقدمة الديوان ، يرجع الي القصيدة بعد نظمها فذا ما عن له أن فيها طولا حذف ماستطال. فجاءت القصائد هنا أقرب إلي المقطوعات وإن لم يخل بعضهانت الطول.خلت معظم قصائد الأصل من حدة الانفعال التي كانت تلازمة تجاه ابناء الكعيات بل اعتذر عن هذه الحدة ،يقول في مقدمة أغاني الأصيل (ديوان الصغير جدا الذي اسمه اللواء الظافر قد صاحب انشاؤه حدة غضبه مضربة او قل عنترية:

ووجه قوم قدر رايت كانها

من قبحها في التجربات مقابر

[48]/ نفس المرجع ، ص 97

واطبه تركوا العلاج يزجون[49]

من مرض الضمائر اضربا

عفا الله عما سلف، فهو هنا قد اعتذر عما بدر منه سابقاً .

تسيطر في ديوان (أغاني الأصيل) روح الغريب المحترب والنبي الذي تجاهله قومه عامدين الي ذلك. يتمثل هذا في قصيدة الطويلة الجيدة (جسر قصر النيل) .تعدد رحلات في هذا الديوان لمواطن المسلمين الغابرة في الأندلس، وفي سراييفو وتمتزج الذكريات بالمأتم الشعري الذي أقامه لشقيقته :

بكيت على اختي

وارفع كفي بالفاتحة

ادق لها بيدي الحنوط

وابكي ولي عبرة سافحة

لا يفتأ يذكر و الده وأخاه حسناً، يذكر حجته ، يلوذ بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ويستنجد بالأولياء (الشعر و النقاد ، كلوم الفؤاد . و في قصيدة (فكر طه رثاؤه لشيقتيه أم الحسين وزينب .

تضربقصائد (أغاني الأصيل في أوتار مؤثرة تخفت معها حدة ما خلفه فقد منصب مدير الجامعة من علاقم. و الديوان مهدي لطه حسين و على الجارم [50].

المرحلة الأخيرة : التعلق بذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وشعر الرثاء :

[49]/ نفس المرجع ، ص 98
[50]/ نفس المرجع ، ص 99

برق المدد وملتقي السبل :يقول في مقدمه (برق المدد) ((وقولي (برق المدد) فيه أشارة إلي منظومتين جعلتهما نموذجا ، وتأثرت بروح أنغامهما هاتان المنظومتان هم (سر المدد والشهود) للشيخ محمد المجذوب و البراق السيد محمد عثمان الختم الميرغني . كلتاهما من مجموعات مرتبة على حروف الهجاء ، كل مجموعة تشتمل على عدد منالمقاطع . كل قطعة فيها خمسة أشطار أربعة منها في قافية واحدة والشطر الخامس ملتزم في كل مجموعة حرفا من حروف الهجاء يجعله قافية))

فهو قد رجع للتسميط الذي أنكره سابقا . لا يخلو ديوان من دواوينه من ذكر رسول (صلى الله عليه و سلم) والالتجاء إليه وذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعترته وصحبه هو سدى ولحمة(برق المدد).. فرط حبه لآل البيت يكاد يجعل منه شيعيا إذا توقفت عند مقطعه الذي يفضل فيه فاطمة الزهراء على كل النساء (راجع مقالاتي السابقة في هذا الصدد، غير أن برق المدد ليس بمطولة مديح نبوي استعرض هنا أحوال المسملين منذ أن كان الأسلام إلي فقدهم الأاندلس ثم وقفة بعد ذلك على مسلمي العرب في سراييفو، يخالل ذلك تجاربة على كر السنين، ومن ثم محنته وتأزمه سابقا، وإن كان قد صار هذا التأزم ذكرى مطوية. يعزج أيضا على وفاة والده وشقيقه حسن وأخواته ،وهي ماس لم تغار مخيلته منذ أن شب حتى وفاته رحمه الله شعر الرثاء هو الذي غلب على فترته الأخيرة نفقد فجع مؤخرا في كثير من أصدقائه وخواصه ولعل أولهم كان ملك المغرب الملك الحسن رحمه الله ، قبل الملك كان الأستاذ محمد عبد القادر كرف، على الملك، صلاح احمد ابراهيم ، زكية عوض ساتي، محمد الخاتم واخرون لاتعيهم الذاكرة... هنا قصائد متفرقة بعضها نشر وبعضها ما يزال مخطوطاً[51].

[51]/ نفس المرجع ، ص 99 - 100

أقدم بعد ثلاث سنوات من برق المدد علة قصيدة خربطويلة ملتقى السبل وكانت أخر قصائده على هذه الشاكلة ،ومبلغ علمي أنها لم تنشر بعد . لا تختلف كثيرا عن (برق المدد في ناحية شكلها العام فقد التزم في نسقها ترتيب حروف الهجاء في اقافية. ومثل رصيفتها فقد عنيت في مضمونها بضعف المسلمين الحالي وتقليدهم الإفرنج واستهانتهم بلغة الضاد وعدوان اليهود والنصارى عليهم. مفتاح القصيدة هو ما ذكره في مقدمتها :((اكبر ارابي من نظمها التأمل والترويح عن النفس المثقلة بالامال والهوم))

بعد ان يعيد ذكرى أخيه حسن والتأسي على ما فقد من أصدقاء، يعرض قضايا أدبية يكون لها ذيل في الهامش ويكتسب هذا الذيل اهمية قد تضارع المقطوعة نفسها . لعل أجود م في (ملتقى السبل) تتبعه للنيل يتري من الحبشة الي ان يتجاوز السودان .

عندما يتعرض للجزر الواقعة على النيل يربط ذلك باسأطير الجن الذي يسكن تلك الجزر والحوريات اللائي في قاع النيل. يلتفت إلي التراث الشعبي المرتبط بالأعراس المتوجهة الي النيل وأغاني الأعراس المتشبعة بالجن والحوريات ويأتي بذلك في لغته الشعبية .

يا البحر الجـــــــاري

يا بنات الحـــــــواري

يالساكنين قبالة الطين

وقرنلك مرقد الوزيــن

كدة يا يمة للبـــتوق[52]

والتينة ام سحاب وبروق

[52]/ نفس المرجع ، ص 100

النيل يمر بالبجراوية واهراماته :

قف بالطرابيل وحي الطلل

للوعظ والتاريخ لا للـــــغزل

قبل أن يجتاز النيل الطرابيل كان قد التقى بنهر أتبره، فهل كان هذا مجمع البحرين الذي التقى فيه موسى بنبي الله الخضر؟ لا يكاد عبد الله الطيب يشك في ذلك .كل هذا يوضح أهمية هذه القصيد التي فيها ايضا إشارات للسود ولاذين منهم موسى وأن هجرة المسلمين الأاوائل كانت الي السودان.

الأسلوب الشعري الخاطر والطفرة :

منهجه في كل شعره يقارب أسلوبه في الكتابة. موضوعات القصيدة المتعددة لا تقبل شكل التسلسل المنطقي لها (الوحدة الموضوعة) لابد له من شكل يتسم بالفوضى الفنية التي قد تبلغ مرحلة اللا معقول. فبعض قصائد عبد الله الطيب أشبه ما تكون بلوحات بيكاسو. هو لا يستقر عند حادثة معينة الإ ريثما توحي له الحادثة بأخرى قد لا تماثلها (الطفرة)إلي الجزئية الجديدة التي قد يتجسم له من خلالها ما كان قد أدى الي توتره وقلقه: هو في هذا الوضع الذهني تتراءى له فجأة شجرة السنط أو رؤيا سياسية فتجئ الطفرة المتوقعه يرجع بعد كل هذ إلي ما بدأ به ، بعد أن حدثت الفوضى الفنية للقصيدة .

شعره يقوم على تداعيات أحداث كان بعضها في فترة الطفولة وبعضها عند اكتهاله وبعضها ذكريات غبن حاق به ،ويتواشج كل هذا مع بكاء من فقد ،وقد يظهر كل من ترتيب في القصيدة أو في المقطع الواحد عن طريق الطفرة . فكأن

وحده القصيدة تكمن في وحدة التداعي والشعور الكلي لا المظهر الخارجي للقصيدة .في القصيدة خاطر الإيمان العميق الذي يربط بين كل هذه الطفرات[53] .

[53]/ نفس المرجع ، ص 101

المبحث الثاني

عبد الله االطيب ناقداً

مقدمة:

إن الاتجاهات النقدية عند عبد الله الطيب، كثيرة ربما لا يتأتي لنا جمعها وتحليلها، هذا ومما يحسن الاشارة إليه في صدر هذا البحث ان عبد الله الطيب صاحب (مشروع نقدي) واسع كما يلي:

أولاً: يسلك عبد الله الطيب في سلك النقاد الشعراء او الشعراء النقاد كابن المعتز، وابن طباطبا في تراث النقد، وعباس العقاد وحمزة الملك طمبل، وعلي احمد سعيد (ادونيس) وكل هؤلاء تسابق اشعارهم نقدهم، وتؤازر دعواتهم وآرائهم.

ثانياً: لم يقتصر نقد عبد الله الطيب على النظر في مسألة القصيدة في العصر الحديث وما يجب ان تكون عليه، بل كان له دأب في الدرس النقدي الشامل لتراث الشعر العربي.

ثالثاً: لعبد الله الطبيب منهج في النقد يختلط بالقيم التربوية .ويتجلى ذلك في منفعة المرشد "من الإرشاد"، وفي الجزء الاول منه مثلاً يقول في ضرب من الرمل "وزنه" فاعلاتن "مكررة" ست مرات. وصوره غالباً ما يكون على "فاعلاتن فاعلن ...." وهاك مثلاً لوزن الرمل من عبث الكلام[54]:

ضارباتسائحاتعائمـــات راقصاتلابساتعاريـات

عاشقات سالبات فقلن فعلن فرحات طربات ضاحــكات

[54]/ عبد الله الطيب في مقالات ودراسات ، صديق عمرصديق ، طبعة الاولى ، هيئة الخرطوم للصحافةوالنشر ، 2013م ،ص 129

قال عمرو قال عمرو قـــولةً	**قال عمرو قال عمرو تتتات**
ولقـــــد اجمع رجـــلي بها	**حـذر الموت وإني لفـــرورو**
وابن صبـــــح سادراً يوعدني	**حي للنفس من الموت هـويـد**
كـــــل ما ذلك مني خلـــق	**وبكـــل انا في الروع جدير**
ولقد اعطفـــــــها كـــــارهة	**ماله في الناس ما عشت نصير**

ماله في الناس ماعشت نصر[55]

ومن مظاهر التربوية في نقده اختياراته التي سماها "الحماسة الصغرى"، فاختيار الشعر المتنخل من العصور كلها لا يخفى أن غايته تعليمية، والفصول النقدية بين يدي الشعر المختار عمل نقدي محض.

بهذا نستطيع ان نلتمس لا حباً لحديثنا من الاتجاهات النقدية عند عبد الله الطيب.

تأصيل الفن الشعري: يجعل عبد الله الطيب القصيدة قوام الشعر العربي كله الذي يجمع أصناف الشعر عندالإفرنج ،وهي: الغنائي، والملحمي، والمسرحي، فهي أي القصيدة "صوت فرد جهير، يقع موقعاً بين جراءة البطولة، وعمق الغناء، وحلاوة القصص، وصلابة الخطابة وغموض السحر ولا يخلو من روح المسرح ودعاواه"[56].

ولكنه يجعل القصيدة الجاهلية نموذجا عاليا يقاس عليه ويعتزا،فهو يأسف على "ان حيوية الوصف الجاهلي وروحه البطولي كل ذلك قد عفا بعد عصور المحدثين اكثره وغلب عليه البديع"، ولهذا "فشعر العصر العباسي الاول على اثارة الرونق الظاهر في اللفظ، واصطياد المعاني من النوادر والشوارد، هو في حال الضعف في اساليبه

[55] / مرشد الي فهم اشعار العرب ، عبد الله الطيب ، ج 4 ، الخرطوم للنشر ، 1993 م ، ص42
[56]/ الحماس الصغرى ، عبد الله الطيب ، الطبعة الاولى ، الدار السودانية للكتب الخرطوم ، ص 471

من جراء ابتعادها عن اصل الصحراء الذي منه خرجت بادئ بدء" فصيدة المديح ذات الأصل الصحراوي هي كعبة الشعر التي لا يستغني الشاعر الحضري في العصر العباسي عن التوجه بفنه تلقاءها.

وابو تمام عند عبد الله الطيب انما جمع بين مناهج القدماء، وطرب المحدثين، فاخترع اسلوباًجديداً في الغرابة والطرافة" وكذلك ابو الطيب الذي احيا الرصانة القديمة وحرارة الأساليب الأولى، ولذلك وفق الى مدى بعيد.

ولكن عبد الله الطيب مع ولعه بالشعر المبتدي القديم الرصين لا يبخس ابا الطيب تجديده ومارفد به الشعر، فابو الطيب قد وجد المتردم بعد المتردم "وفرض عبقريته فرضاً على اللغة العربية بما اضاف اليها من ثرورة طائلة في محض أساليب البيان مما لا تزال حيويته تنبض" وقيمة حديثة هذا عن ابي الطيب تكمن في انه لا يتيح بوجهه عن فكرة "كيمياء التجديد" في شعر ابي الطيب. غير أن عناصر التجديد عنده تكمن في إبتكار الأساليب البيانية مع احياء الجزالة القديمة.

ولا عجب اذا ان يجعل عبد الله الطيب عمر بن ابي ربيعة ،وجميلاً واصحابهم في منزلة دون منزلة ذي الرمة فغزلهم كان ــ اذا تأملته ــ غريب في التيه عن منهج الشعر العربي الصادق الاصيل من منهج ذي الرمة"[57].

بل إن ابا نواس على ماشهر به من وصف الخمر ،وانتها به لذاتها لم يفق الأعشى او يغادر شيئاً من متردمة إلا في حديث المنادمة وما فيها من علم وفضل كقول ابي نواس:

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة عرفت شيئاً وغابت عنك اشياء

[57]/ القصيدة المادحة ومقالات أخر ،ط1، دار جامعة الخرطوم للنشر 1973م ،ص 10 ، ص 16

فكل الذي ذكرناه إذاً مشعر بمذهب عبد الله الطيب ،ومنهج نظره في الفن الشعري، حيث يجعل مدار الفن على القصيدة، التي هي الاصل، وكلما اوغلت القصيدة في القرب من طريقة الجاهلين قوي متن بنائها وزاد اسرها ،والقرب يكون في الأساليب والصور والالفاظ.

وإذا كان عبد الله الطيب يحتفى بمجهود سامي البارودي ايما احتفاء، ويمد شعره وثبة عظيمة من وثبات النهضة ،فان ذلك يعود إلى محاولة البارودي العودة بالقصيدة إلى اصول الفصاحة الاولى. وهو عين الذي يذرى به عند بعض النقاد المحدثين كعلي احمد سعيد (ادونيس)الذي يقول: (إنه مهما اكدنا ربط مفهوم النهضة بالعودة إلى القديم، فاننا لا نقدر ان ندخل في هذا المفهوم أحياء الاشكال القديمة سواء فنية او إجتماعية أو سياسية .. الخ، فهذه الاشكال متطابقة مع اوضاع وحاجات وظروف انتهت وحلت محلها اوضاع وظروف جديدة. ولابد إذا من ان تنشأ اشكال جديدة تطابقها ولا نستطيع ان نعتبر التجديد صناعة تقلد اصلاً سابقاً لان التجديد موقف ابداعي جذري شامل) فالفرق بين الناقدين ان عبد الله الطيب يجعل لفن الشعر اصلاً قديما يقتبس منه، ويعتذى باساليبه، وأن التجديد لابد ان يكون ذا صلة بالاصل القديم، وان استغرقته صنعة العصر كالولوع باعمال الذهن اختراعاً للصور البيانية عند ابي تمام، والأساليب الحكمية الذكية عند ابي الطيب، بينما يذهب الثاني الي ان التجديد لا يكون استعادة شكله للتراث.

بين الأصيل والدخيل:

انتهينا في تأصيل الفن الشعري إلى ان عبد الله الطيب قد جعل القصيدة اصل الفن الشعري، وجعل القصيدة الجاهلية، او قل القديمة نبع السقية للشعراء ولكن غلبه التاصيل الذي تتجلى عنده ايضاً فيما يلي:

اولاً : اتخاذ الصلة بالتراث العربي عياراً لتقويم الفن.

ثانياً: اهتمامه بقضية السرقات التي شغلت النقاد القدماء.

ثالثاً : دراسة الشعر العربي على اساس صلة بالشعر العربي.

رابعاً : تفرد اصطلاحاته النقدية التي تأنق من مصطلحات النقد الحديث ففي مسألة اتخاذ الصلة بالتراث العربي عياراً تقويم الفن يقول عن شاعرية العقاد[58]:(وقد كانت ديباجة العقاد دون ديباجة شوقي في الكثير الغالب، ولكنه كان اوضح مأخذاً من المنهج الإفرنجي في الشعر ولعل هذا هو بعينه سبب الدونية، بل ان ايقال العقاد في الأخذ من ابن الدومي طريقته في دقة الوصف توخره عن بلوغ مقام الأخذ من ابي تمام جعله هو الأصل الذي يجزو عليه دون ابن الرومي ... وقد كان ابن الرومي ضعيف اللفظ في الكثير الغالب وإلى هذا اشار ابو العلا حيث يقول:

لو نطق الدهر هجا اهـــــله وهو لعمـــري شاعر مغرز

كانه الرومي أو دعبـــــل لكنه في لفظه مجبـــــــــل

وفي (الاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان) تحدث عبد الله الطيب عن كتاب (النهضة) و (الفجر) فأقام (عبارة الأصالة) نفسه في تقويم أدبهم فقال "وقد كنت أظن اول ما بدأن ادرسهما انهم لم يكونوا إلا محاكين لنمازج من ادب الغرب ... ولكن بعد طول النظر استقر عندي انهم ألموا باطراف جميع ذلك غير انهم كانوا في جوهرهم أولى مثل عليا شجعاناً حقا، لهم حظ عظيم من الأصالة[59] فهذا إذا إعمال عيار الاصالة في تقويم نثر الفجر والنهضة وتحليل مذاهبه.

وعمل عبد الله الطيب الطيب النقدي في اهتمامه بقضية السرقات شبيه بعمل الخالدين في كتابهما المسمى (الأشباه والنظائر) وهو كتاب اختيار وتعليقات نقدية، والأختيار نفسه كما نعلم جهد نقدي لأنه يقوم على اساس منهجية ولعل التأليف في

[58]/ عبد الله الطيب في مقالات ودراسات ، صديق عمر الصديق ، الطباعة الاولى ، ص 133
[59]/ القصيدة المادحة و مقالاتها ، ص 132

السرقات يربو على المؤلفات في أي موضوع آخر وعبد الله الطيب مشدود إلى الجذر العميق والبذرة الأولى في الباطن ويقوم مقام السرقة عنده نظر الشعراء إلى بعضهم ،وتأثيرهم بمذاهب سابقيهم او معاصريهم على نحو نظره إلى ذي الرمة يقول:[60]

(قد نظر ذو الرمة نظرة قوية إلى فن جرير هذا ،ووجد من نفسه قدره عليه، لا بل على الريادة فيه، والافتتان افتتانا لم يأبه له جدير ولم يفرغ له ... اما في اختياره مية – وخرقاء من بعدها – فقد نظر بعين الي جميل وكثير وقيس بن ذريح ... واما في اختياره وصديح فلم يخل من نظر إلى الراعي في طول تعلقه بناقته العفاس وبروع) (وتطبيق عيار الأصالة ينتهي به في كثير في الأحيان الي نفي مذاهب حديثه في التعبير لأنها مجاراه اوسرقة لأساليب اوربية فهو يرى في اصحاب مدرسة المهاجرين الأوربين إنهم حاولوا أن يعبروا عن عواطفهم تعبيراً طليقا يجارون فيه اساليب الرومانسيين الأوربين ،وكان حظهم من العربية لا يمكنهم من الانطلاق الحق، فاستساغوا غير قليلاً من الركاكة، ثم ابدوا يدافعون عن هذه الركاكة بانها تحرر وهلم جراً)

اما دراسة الشعر الغربي على أساس مقارنيه بالشعر اعربي فهو من علمه النقدي المشهور، ولكنه ذو صلة بما قدمنا في البحث من مسألة القيم التربوية التي تستند بلا شك على اصول فكرية تذهب الى تأكيد أن لكل أدب في أمة خصائصه، ولهذا فالشاعر توماس إليوت استمد سحر شعره الغامض من الشعر العربي القديم باخيلته الصحراوية ،وروح التبدي،وقيم التصعلك.

[60]/ القصيدة المادحة و مقالاتها ، ص 132

وقد يعمد الى قراءة نص انجليزي بعينه مقروناً بنص كما فعل في قصيدة الشاعر وليم بليك في وصف النمرة:

Tiger tiger burning

In the forst of the night

فهي عنده مأخوذة بلا ريب من لامية ابي الطيب المتنبئ التي وصف فيها الاسد ومطلعها:

في الخَدّ أنْ عَ زَم الخَليطُ رحيلاَ طُرّ تَزيدُ بِه الخُدودُ هُولا

قال: "هذه الأمية اخذها وليم بليك اخذاً" ولكنك حين تمعن النظر في رأيه تجده يقوم على إحساس محض بآية قوله: "فأحس في جميع هذا صدى من كلام ابي الطيب. الالمعاني الرئيسية عند ابي الطيب هي هاهنا عند بليك: الجرأة، الجبن، العينان، النار، الساعد، الرهيب، المشية المترفقة، التوازن الرهيب، الزمجرة، الوجيب، نيل الطلبات البعيدة ،الخوف ،الرحمة".

وقد يتبدى لنا أن هذه المعاني ليس مما يعسر على بليك إصطياده إلا بالنظر إلى الشعر العربي، إذ هي معانٍ عامة يعرضها العربي والعجمي كما قال الجاحظ.[61]

هذا ومن المظاهر الساطعة لغلبة عيار الأصالة في نقده تفرده في إستعمال المصطلحات النقدية على نحو لا مشابه له، فهو مثلاً يناقض المرزوقي في مسألة "عمود الشعر" حين جعل في مقدمة شعره (حماسة ابي تمام) عمود الشعر سبعة ابواب، فقد قال: " المرزوقي رحمه الله مما يتكلف" وله مذهب طريف في تقويض نظرية عمود الشعر التي يعول عليها المحدثون كثيراً، إذ يرى أن كلمة عمود الشعر التي وردت في كلام النقاد القدماء، إن هي إلا استعمال لغوي محض للدلالة على

[61]/ عبد الله الطيب في مقالات ودراسات ، ص 135

معنى الاساس والركيزة كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الصلاة عماد الدين"، وينقل عن الجاحظ غير ذلك الرجل الذي قالت له زوجه: " انت جميل، فقال: كيف أكون جميلا وليس في عود الجمال ولا رداؤه ولا برنسهاما عمود الجمال فهو الطول ولست بألطويل،واما رداؤه فهو البياض وأنا اشهب، واما برنسه فهو سواد الشعر وأنا اشقر، ولكن قولي: مليح ظريف"

ومن المصطلحات الاثيرة عند عبد الله الطيب مصطلح "النفس" كأن يقول هل تحفظ شعر عبد بني الحسحاس:هو من اغزل الناس والذي اقتيد فقتل لعله رجل غيره لأن نفس اليائية عذب حلوة مرتاح متدفق انيس فكه.....".

وعلى الرغم من وجود مصطلح النفس في النقد إلا انه كأنما يشير إلى شيء اثيري يحس ولا يلمس، وهذا المصطلح شبيه بمصطلحات أخرى كالماء ،والصقال، وشدة الأسر، وتفاوت النسج، وبهاء الكسوة مما نجده في كتب القدماء كقول ابن طباطبا "ومن الأبيات المستكرهة الألفاظ القلقة ،الغوافي الرديئة النسيج ... قول ابي العيال الهذلي.

ذَكّرتُ أخي فَعَاوَدَني صُداعُ الرَّأسِ والوَصَبُ

غير أن عبد الله الطيب يحاول إيجاد تعريف للنفس فيجعله "الروح الذي يربط بين اول القصيدة وآخرها" وبين مطالع الأبيات ومقاطعها، وبين البيت والبيت" [62]ولكنه يستشعر غموض هذا التعريف الذي لا يوقفك على امر النفس حقيقة فيقول ".. ومع خفاء امر نفس الشاعر من حيث انه روح من حيوية رابطة محركة مؤثرة معبرة معا ،قد تقدر على استبانة دلائل منه وعلامات ينبئن عنه ومن ذلك مثلاً قول زياد:

[62]/ عبد الله الطيب ، المرشد الي فهم اشعار العرب و صناعتها ، الخرطوم ، 1993م ، القسم الاول ، ص 601

فعود عما مضى إذ لا ارتجاع له وانما القتود علي عيرانة اجد

فهذا ربط بين ماتلا من نعت الناقة والطريق وما تقدم من نعت الأطلال

فهذه لعمري محاولة عميقة لإيجاد تعريف جامع للنفس ولكنه يعتمد على ذوق الناقد في استشعار الصلة بين الأغراض المتنافرة شكلاً، المتلاحمة جوهراً .

والحق أن عبد الله الطيب كان يتطلع إلى بناء مصطلحات يكسوها ثوباً يستر به ملامح التعويل على منهج الذوق الخاص، خاصة في معرض دفاعه عن القصيدة الجاهلية التي نعي عليها النقاد المحدثون تفكك اجذائها وضعف روابطها، وهذا من ضرب العمل النقدي العميق في كتاب المرشد إلى فهم اشعار العرب" ولا يضيره بعد اتكاؤه على الذوق إذ ان غزارة الإستشهاد بالشعر العربي في كل عصوره وبراعة التطبيق تجعل دفاعه هذا اقرب الى الموضوعية العلمية منه إلى العاطفية وقد يعيد صياغة المصطلح الذي لا يرضى الرصانة، كأن يحتج على مصطلح (الوحدة العضوية) الذي هو ترجمة رديئة للفظ الانجليزي organic Unity ويفضل عليه مصطلح الوحدة المحكمة ويعتمد ايضاً إلى تفضل كلمة (الإسماح) على (التلقائية) التي تستعمل للتعبير عن الترسل والمرجع في هذا إلى الدقة اللغوية. لان الإسماح فيه معنى الانقياد والمطاوعة فقد جاء في لسان العرب (الإسماع لغة السماح، يقال سمح واسمح، واذا جاء واعطى عن كرم وسخاء ... وأما اسمح فإنما يقال في المتابعة والانقياد ويقال اسمحت نفسه اذا انقادت"

ولا عجب أن يميل إلى استعمال لفظه أخرى موحية بمعنى الاسماح نفسه، فعن ابي العلاء يقول الم يكن يعاني من القبض الحضاري والعقد المزور (من الازوار لا التزوير) حتى حين ينفعل بحرارة من عواطف الشوق والوجد والحنين وهذا كله يدخل فيما قدمت من أمره تفرده بالمصطلحات والنظر الجدير غير المسبوق وإن كانت

ذات اصول قديمة ولعل كل ما سقناه في الصفحات السابقة يعد تمهيداً لبلوغ منتهى (مشروع عبد الله الطيب النقدي) وعلاقته بالحداثة[63].

[63]/ عبد الله الطيب في مقالات ودراسات ، ص 137

المبحث الثالث

عبد الله الطيب تربوياً

مدخل :

لم تكن للتعليم في السودان - أهداف محددة في الحقب المختلفة التي سبقت الحكم التركي المصري ، ولم تكن هذه الأهداف موضوعة بشكل رسمي من قبل جهة معلومة تسعى لتحقيقها بل كانت متروكة لقيم العرف السائد هو الذي يحددها ويجد أفراد المجتمع أنفسهم يتبعون هذه القيم.وعلى الرغم من ذلك لم يكن السودان حديثعهد بالإتصال مع العالم الخارجي بل كانت له صلة قديمة بالعالم الخارجي وتعرض لمؤثرات ثقافية خارجية عديدة منذ العصور القديمة أثرت نوعا ما على قيمة وأعرافه. وجاءت الإدارة البريطانية وكانت أول من صاغت أهدافاً محددة للتعليم وسعت إلي تحقيقها .

تربية الأطفال عند عبد الله الطيب :-

لبعد الله الطيب منهج لعله يعرف به في التربية وتعليم الأطفال الناشئة فهو يرى سن التعليم يجب أن تبدأ من سن الخامسة وليس السابعة ، ولعل هذا الرأي قد وجد أو يكاد يجد طريقة إلي التطبيق ، كما أنه يرى أن تستغل هذه السن لغرس الفضائل التي يحث عليها الإسلام وخاصة القرآن الكريم وبعض الاحاديث الشريفة (ولعلنا إلا نبعد من وجه الصواب أن فكرنا بجد في بدء التعليم في سن الخامسة

لا السابعة[64] كما نفل الان)[65].ولخطورة هذه المرحلة ينبه عبدالله الطيب ويشير إلي امر هام وهو إرسال الأطفال إلي مدارس غير إسلامية أو نصرانية

وهم عليها لا يؤتمنون إذا اصل دينهم يحثهم على غرسه بأيتما وسيلة – موضة طبقية كما تكون عندك ثلاجة ومكيف وهلم جرا).

في موضع اخر وفي حجيته عن جعل القرآن الكريم وسيلة للتعلم وعن نفور بعض المسلمين من ذلك وعن استبدالهم له بمدارس التبشير يرى عبد الله أن ذلك الصنيع لا يؤثر فقط على تعلم اللغة العربية فقط بل يمتد إلي عقائدهم وفقدانهم لأصالتهم وهويتهم (أن بعض المسلمين صاروا لا يبالون بل جعلوا يؤثرون أن يرسلوا أطفالهم إلي منشآت التبشير ومدارس الكنائس ليتلقوا فيها مبادئ التعليم وهم يحسبون أنهم بذلك ييسرون لصغارهم ضالة اجوج من تلك المبادئ واصفى منها ، وأن الحقيقة هي أنهم يصنعون بصنعيهم هذا جيلاً مولداً بين ذكرى من الأصول الاسلامية المتقهقرة وحقيقة حاضرة منالكفر ومعتقداته واساليبه.. وهذا التوليد ينشأ منه جيل قطيعي فاقد الاصالة)[66]

ويواصل عبد الله الطيب في ارائه في تربية الأطفال حيث يرى أن يتدرج مع الطفل

انسجاماً مع قدراته ونموه العقلي (ورأى أن يبدأ بتعليم الصغار العربية الفصيحة قراءة و تهجياً إملائياً شيء من طريق الاغاني البسيطة و الحكايات المستمدة من قصص الامهات ومن أخبار الدين مثل أصحاب الفيل وعادوثمود وبعض خبر يوسف وموسى وفرعون ،ثم يصار من بعد إلي تعليم بعض قصار المفصل كالمعوذتين و الاخلاص والم تر كيف و القارعة وانا انزلناه و يستحسن في هذه

[64]/ عبد الله الطيب : القصيدة المادحة ومقالات اخر،مصدر سابق ، ص 145
[65]/ عبد الله الطيب : القصيدة المادحة ومقالات اخر،مصدر سابق ، ص 145
[66]/ عبد الله الطيب : ضرورة الرجوع إلي القرآن الكريم في التعليم ، مصدر سابق ، ص 37

الفترة إن يصحب ذلك طلب غرس الفضائل التي يحث عليها الاسلام وتعليم بعض الاحاديث والايات الواردةة في هذا الصدد وتقريب معاني ذلك إلي الأطفال)[67].

يرى عبد الله الطيب كما يرى العديد من المفكرين أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً وذلك لان عقل الطفل في هذه المرحلة يعتبر صفحة بيضاء وما يطبع عليها يكون هو الاساس للتعليم ولذلك يرى أن (القرآن الكريم هو أول العلوم التي ينبغي إن بتعلمها الصبي لان تعلم الولدان للقرآن الكريم هو أول العلوم التي ينبغي أن بتعلمها الصبي لان تعلم الولدان للقرآن الكريم شعيرة من شعائر الدين ،اخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم ، لما يسبق فيه إلي القلوب من رسوخ في الايمان ، وصار القرآن الكريم أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعض من الملكات وسبب ذلك أن تعليم الصغير أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده وهذا مما اخذ به جميع المفكرين في الاسلام)[68].

يواصل عبد اله الطيب في آرائه في تربية الأطفال فيقول : (ثم أرى أن يؤخذ بعد سن الثامنة في تعليم العربية تعليماً لا مرية فيه بتحفيظ الاشعار من غير ما الحاح على المبالغة في التبسيط ،ذلك بأن ذهن الطفل في هذه المرحلة يكون مستعدا للتلقي ومن كان ذا ملكة بدت منه اوائل علامات التبريز ولا يخفي أننا سنحتاج إلي سعة اللغة من بعد حينما نحتاج إلي تخصيص أبنائنا في العلوم العصرية وشتى انواع التقنيات فمتى أحبوا العربية والفوها منذ نقلوا اسرار ذلك اليها وعولوا في البيان عليها وفتح الله عليهم بذلك والا نفروا عنها فظلوا عبيداً للغات الاجنبية يقلدون(ولا أصالة لهم وذلك هو الخذلان المبين) [69]

---

[67]/عبد الله الطيب : القصيدة المادحة ومقالات أخر ، مصدر سابق ،ص 145 ،146

[68]/ المصدر السابق ، ص

[69]/عبد الله القصيدة المادحة ومقالات أخر، مصدر سابق ، ص 146

(هذا وبعد أن يؤجد المتعلم باللغة والشعر وكلام الله جل شأنه وكتابه المنزل هو ايضاً كتاب العربية الأول من حيث حلق البلاغة ونصوص البيان لا يماري في ذلك الا مطابر أو فاسد الذوق ،ولم يجئ .

الأهداف التربوية عند عبد الله الطيب :

يقول الكثير من علماء التربية إن الهدف طويل المدى يتحقق بغنتهاء المراحل الدراسية المختلفة أما الغرض فهو قصير المدى ينتهي بانتهاء المادة الدراسية او السنة الدراسية اوالمرحلة الدراسية المحددة ، فعبد الله الطيب يرى أن الغرض من التعليم هو ليس ما ينظر اليه الناس بالفائدة المادية العاجلة وانما الفائدة الوطن والمجتمع وهو الوسيلة الفاعلية لمواجهة الصراع في العصر الحديث والذي يقوم على اساسه التعليم والعلم والعمل بنتائجهما (أدخلت تلمذة المدارس في حياة الناس نوعاً جديداً من التنافس بعد مرحلة معارضتها الاولى خشية ما ستجره من فساد كانت معارضة من نوع اخر.. إنها ستتيح لبعض الناس فرصة تبريز وجاه يرتفع بهم عن مستوى القرية ما كان يخطر بالبال أنمثل هذا التبرير وهذا الجاه عسى أن يكون مفيداً للقرية يرتفع به تدريجياً مستواها كلها ... وعسى أن يكون مفيداً للوطن يقوى به على مكافحة صراع هذا العصر الحديث)

الهدف من التعليم عند عبد الله الطيب هو الاستفادة اي إكتساب معارف جديدة من المواقف المتجددة ،ولكي تكون هذه الفائدة كبيرة و يمكن الاستفادة منها بشكل اكبر على النطاق الخاص "الفرد" والعام " المجتمع " يرى عبد الله الطيب أنه لابد من وجود تجارب بين المتعلم والمنهج الدراسي وخبراته والمعلم الذي يقوم بتدريس هذه المادة حتى يمكن تحقيق الاهداف المرسومة والمرجوة (لم أكن راضيا عن الجغرافية) المحلية كما وضعه المستر غريقث وكانه ينتقد بها اسلوب التعليم القديم ولو احتفظ بشئ منه كان أفضل كنت ادري إن التلاميذ لا يتبعون خطة الطريق

المرسومة ولكن يصلون لهدف من اقرب وجة لتمام معرفتهم ببل‌اتهم ثم يغشون في صفة الطريق الذي سلكوه فيما بعد ومع إن هذا كان لا يخلو من فائدة ،كان في ذاته بعيداً جداً من المراد ،كنت اريدهم ليستفيدوا وارج حانهم سيجدون ذلك في زيادة المستشفى اكثر من اية من الزيادات الاخرى للسواقي وما اشبه مما سبق لهم أن قتلوه علما فلن يجدوا من زياراته الا الملال)[70](والاستفادة لا تكون الا بالتجاوب والتجارب لا يتاتي مع اساس غير الود والاغراض مزلة اقدام)[71]

والهدف الأساس الذي سعى عبد الله الطيب إلي تحقيقه طوال حياته في حقل التربية والتعليم هي سيادة القرآن الكريم ولغته العظيمة وقيادة الأمة الإسلامية والعربية للعالم اجمع عبر تمسكها بالقرآن والدين الإسلامي ولغته ويدلل على ذلك سبعة الدؤوب لتحقيق هذا الهدف عبر المنابر المختلفة والتأليف والنشر والبحوث .

تعرض الباحث لهذه الاهداف في الفصول السابقة وعن كل ماتقدم يقول عبد الله الطيب (لابد من تعريب مناهج التعليم العالي باسرها إلي غاية غايات التعليم الجامعي في جميع مراحله حتى نتمكن حقا من شق الطريق إلي النهضة الصحيحة وايحاء العربية ولارتقاء بدار الاسلام ذلك بان النهضة والحياة للعربية ولدار الاسلام لا تتم الا بالتكمن من اسباب القوة والمنعة التي تتيحها صناعات هذا العصر وتقنياته وعلومه و هذا لابد من فهمها حقا لا يتم لغة الناشة الذي يتلقاها فهو مهما يتقن اللغة الاجنبية لا يملك إن يغيب غلية من ارسرارها الشيء الكثير مما لايتم الفهم الحق الا بوساطته) [72].(والغالب على كل من يجتهد في طلب العلم من شبابنا الان إن يؤمل الحصول على مستوى ذو طابع جامعي

---

[70]/عبد الله الطيب : من حقيبة الذكريات ، مصدر سابق ، ص 140 ، 141

[71]/ المصدر السابق ، ص 15

[72]/ عبد الله الطيب : خواطر عن اللغة العربية وتعليمها ، مصدر سابق ، ص 80

معترف به ، يمكنه من بعد تحصيل فؤائد مماثلة لما يحصل عليه خريجو الجامعات معترف به يمكنه من بعد تحصيل فوائد مماثلة لما يحصل عليه خريجو الجامعات مثل هذا الراي صار لا محالة بطالب القرآن إلي طلب منهج حجيث يباعده من حاق الاقبال على حفظه ، ثم يبتعد عنه شيئاً فشيئاً حتى تعود المشكلة كما بدات ولعمري إن هذا الخطر لمستكن ابداً في الوان الازدواجية التعليمية التي توجهها البلاد العربية والاسلامية في عصرنا هذا الحاضر وعندي إن المخرج عسى إن يكون في المحاولة نا بجد إن نجعل القرآن والعربية هي الاصل في التعليم كما قد كان في مجتمعنا القديم وان نجمع إلي ذلك ما استفدناه من تجارب التعليم الحديث ومناهجه ونقد اصناف النقدة لما كان من مناهجنا القديمة وما كان يقع فيها من اخطاء وعلينا الا نفزع من تهمةى التعويل على الحفظ فانه لا يستغني عن الحفظ في التعليم على اية حال ولذلك قيل في المثل العلم في الصغر كالنقش في الحجر وذلك لان الذاكرة اكثر له تقبلا و اوعى له في زمان الصبا وانما يعاب الحفظ بلا فهم و الخلو من ملكات التحليل والنقد وليس التوفر على الحفظ بقاتل لملكة النقد والتحليل وانما يقتلها اهمالها وقمعها وكراهة التصرف من التلاميذ وحملهم على اجابة ما يسألون عنه بتكرار ما قيل لهم في ساعة الدرس أو امر بنقله من كتاب معين نقلا لفظيا ليس وانا لنشاهد الافرنج يحفظون صغارهم روائع أدبهم حفظاً عن ظهر قلب ثم ياخذونهم من بعد بقراءة اصناف التعليقات ويناقشونهم المناقشة التي تفتق اذهانهم وتمكن كلا منهم بحسب قوة ادراكه منالنظر وانشاء الاراء [73]

(مشروع عبد الله الطيب الابداعي والفكري هو مشروع تأصيلي كان يغوص في جذور التراث الابداعي العربي حيث قننبناء القصيدة واردا لها إن تحافظ على

[73]/ عبد الطيب : القصيدة المادحة ومقالات اخرة ، مصدر سابق ، ص 143، 144

مبناها التراثي وعاب على القصيدة العربية المحدثة اتبعاها لنظريات الشاعر الغربي ت.س. إليوت ...وتأكيدا لمسعى الدكتور عبد الله الطيب التاصيلي فقد قام بتفسير القرآن الكريم باللجهة الدارجة السودانية اذ قام باختيار الالفاظ على اساس جذورها اللغوي العربي الفصيح اما افريقانية عبد الله الطيب فقد كانت تسعى بذات المسعى اذ قام بتأسيس اهم جامعات افريقيا قاطبة جامعة عبد الله بايير وبكانو وذلك لان رسالة الدكتور عبد الله الطسي في فضائها التربوي كانت تهدف إلي نشر اللغة العربية في القارة السمراء)[74].

من الأهداف التي ينادي بها عبد الله الطيب هي إيجاد الفرد المتسلح بالعلم القادر على التفكير الجاد لإظهار قدراته ومواهبه وطرح قضاياه امام الاخرين واقناعهم بها ومع ذلك تكون هذه المؤهلات المدخل المناسب للمشاركة في العمل الجماعي والحياة العامة لان الجماعة تتطلب من الافراد إن يكون اقوياء في شخصياتهم معتدين بارائهم (كان على الدوام ضد عقلية القطيع وكان يؤمن بالتفرد مدخلا المشاركة في الحياة العامة فقد حدثني الراحل بروفسير محمد أحمد الحاج انه وزميلين له بعثوا من كلية اداب الخرطوم للدارسة في بريطانيا و في شان اداري كتبوا مذكرة واحدة بامضاء مشترك لعميد الكلية وكان يومها عبد الطيب فما كان منه الا إن اعاد اليهم المذكرة ونبههم إلي إن ضمن فلسفة ابتعاثهم إن يبنوا شخصيات مستقلة بهم فلا اقل من إن يكتب كل منهم مذكرته بما يراه قضية خاصة به ويحسن تقديمه) كان عبد الله الطيب ذو اهداف بعيدة المدى في التعليم في عموما وفي التعليم الجامعي وخاصة في اصلاح التعليم في جامعة الخرطوم : ففي مجال التعليم العام كان عبد الله الطيب يرى إن يقوم هذا التعليم على قاعدة صلبة من :

1/ الثقافة العربية الاسلامية وذلك يستدعي إن نؤسس هذا التعليم على:

[74]/ عبد الله ادم خاطر : مرجع سابق

أ/ درس القرآن الكريم ،وخاصة المفصلات من قصار السور حتى الجزء الرابع ، على الاقل ، الشعر العربي ، وخاصة الجزل منه و ذلك يستدعي تدريس وحفظ اجزاء من المعلقات والشعر الاوائل من الشعر الجاهلي وبعض قصائد الشعر لفحول الشعراء قدامي ومحدثين الاهتمام بتدريس النحو العربي وكذلك الادب العربي وجزءاً مقدرا من تاريخ الامة الاسلامية خاصة السيرة النبوية واخبار الخلفاء الراشدين ومنهجهم في الحكم والحياة.

ب/ العمل على ترسيخ الهوية العربية والقيم الاسلامية الاصلية ورفض الاتجاه الاستعماري الرامي إلي طمس هذه الهوية أو تهميشها واستبدالها بالهوية الثقافية للاستعمار وللعازي الدخيل

ج/ الاعتزاز بالانتماء إلي الأمة الاسلامية خير أمة أُخرجت للناس : فالذي يستبدل الهوية الغربية انجليزية كانت أو فرنسية بالهوية العربية الاسلامية فهو كمن يستبدل الذي هو أدني بالذي هو خير [75] .

[75]/ زكريا بشير امام : عبد الله الطيب ذلك البحر ازاخر ،مرجع سابق ، ص 426

الخاتمـــــــــــة

وبحمدالباري ونعمة منه وفضل ورحمه نضع قطراتنا الأخيره بعد رحلة عبر (أربعة موانئ) بين تفكر وتعقل في عبد الله الطيب شاعراً و ناقداً وتربوياً . وقد كانت رحلة جاهده للارتقاء بدرجات العقل ومعراج الأفكارفما هذا الأجهد مقل ولاندعي فيه الكمال ولكن عذرنا أننا بذلنا فيه قصارى جهدنا فان أصبنا فذاك مرادنا وإن أخطأنا فلنا شرف المحاوله والتعلمولا نزيد على ماقال عماد الأصفهاني:

رأيت أنه لايكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسنولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر..

وأخيراَ بعد أن تقدمنا باليسير في هذا المجال الواسع آملين أن ينال القبول ويلقى الاستحسان..

وصل اللهم وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

نتائج البحث

بعد أن عاش الباحثون أوقاتاً ممتعة ينقبون ويبحثو في آثار عبدالله الطيب من أجل إعداد هذه الدراسة، والتي عنوانها عبدالله الطيب شاعراًوناقداً وتربوياً،استطاعوا بعون الله وتوفيقه جمع جمع ماتيسر لهم في هذا البحث المتواضع،ولقد اتضح لهم عظمة هذا الرجل وأصالة افكاره واراؤه التربوية،ومن حيث انه علماً من أعلام الأسلام واللغة العربية وفنونها المختلفة متصلاً بكتاب الله ورسوله الكريم صلي الله عليه وسلم ،ومن خلال استعراض أشعار عبدالله الطيب ونقده وآرائه التربوية توصل الباحثون إلي النتائج التالية:

1. يسلك عبدالله الطيب في سلك النقاد الشعراء أو الشعراء النقاد كأبن المعتز وابن طباطبا وعباس العقاد وأدونيس وكل هؤلاء سابق أشعارهم نقدهم.
2. كان لعبد الله الطيب دأب في الدرس النقدي الشامل لتراث الشعر العربي
3. إن الأديب عبدالله الطيب شاعراً شبه فحول الشعراء الحاصلين بالاهتمام بالغريب النادر من الديار ومراجع الأيلز
4. دعا عبدالله الطيب إلي ضرورة الإهتمام بالناشئ المسلم وبداية تعلمه من سن الخامسة القرآن وبعض علوم الدين والعربية لأن القرآن هو الأساس لكل العلوم الأخري
5. يتبر التربية من الوسائل الفعالة في الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي وفي المحافظة علي شخصية الأمة وكيانها.

المصادر و المراجع

1/ القرآن الكريم

2/ السنة النبوية

10/ بين النير والنور عبد الله الطيب ، طبعة الأولى ، الدار السودانية للكتب

11/ مقال للأستاذ عبد الله المكي ، نشر جريدة الرأي القطرية ، الثلاثاء

12/ ذكريات ووقفات مع الأديب عبد الله الطيب مصطفى عوض الله البشارة، الطبعة الأولى ،دار الخرطوم للنشر ، 2003م

13/ المرشد الي فهم اشعار العرب عبد الله الطيب طبعة الأولى ، الخرطوم للنشر ، 1993م

14/ الحماس الصغرى عبد الله الطيب، طبعة الأولى ، الدار السودانية للكتب

3/ عبد الله الطيب في مقالات ودراسات صديق عمر صديق واخرون ، طبعة الأولى ، هيئة الخرطوم للصحافةوالنشر ، 2013م

4/ عبد الله الطيب ذلك البحر الذاخر ذكريا بشير إمام - طبعة 2 الخرطوم للطباعة والنشر ، 2004م

5/ سقط الزند الجديد عبد الله الطيب ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، 1976م

6/ ما بعد الرحيل الاخضر عبد الرحيم حسن حمزة الخرطوم للطباعة والنشر ، 2003م

7/ اصداء النيل عبد الله الطيب ، الطبعة 5 دار الخرطوم للطباعة والنشر، 1976م

8/ من حقيبة الذكريات عبد الله الطيب الطبعة الأولى ، الخرطوم للطباعة والنشر ، 1983م

9/ القصيدة المادحة ومقالات آخر عبد الله الطيب ، دار التأليف والترجمة و النشر جامعة الخرطوم ، 1973 م

الفـــهرس

الموضوع	الصفحة
البسملة	أ
الاستهلال	ب
الإهداء	ج
الشكرو العرفان	د
مستخلص البحث	هـ
Abstrac	ز
المقدمة	1
الفصل الاول : الإطار العام للبحث	
اسئلة البحث	2
أهداف البحث	2
منهج البحث	3
حدود البحث	3
الفصل الثاني : (حياة عبد الله الطيب)	
المبحث الاول : مولده وحياته العلمية و العملية	4
المبحث الثاني : تكوين شخصيته وأصدقاؤه	11

المبحث الثالث : رأي النقاد (حساده واعتلال صحته)	42
الفصل الثالث : عبد الله الطيب شاعراً – وناقداً – وتربوياً	
المبحث الاول : عبد الله الطيب شاعراً	34
المبحث الثاني : عبد الله الطيب ناقداً	53
المبحث الثالث : عبد الله الطيب تربوياً	63
الفصل الرابع :	
الخاتمة	72
النتائج	73
المصادر والمراجع	74
الملاحق	78

الملاحق

الصورة تجمع العلامة وجرزلدا
ودكتورة توحيدة وبروف حردلو وأستاذ الواثق

مشاركات مشهودة في المحافل وتخريج الطلاب

بروفسر مدثر عبد الرحيم وجرزلدا والعلامة

مع جرزلدا في جبل طارق

بروفسر الزبير بشير والعلامة ودكتور الصديق

مع أساتذة قسم اللغة العربية

مع خدين الصبا محمد المهدي مجذوب
أخ لك بر والإخاء وسيلة إذا طلبت عند الإله الوسائل

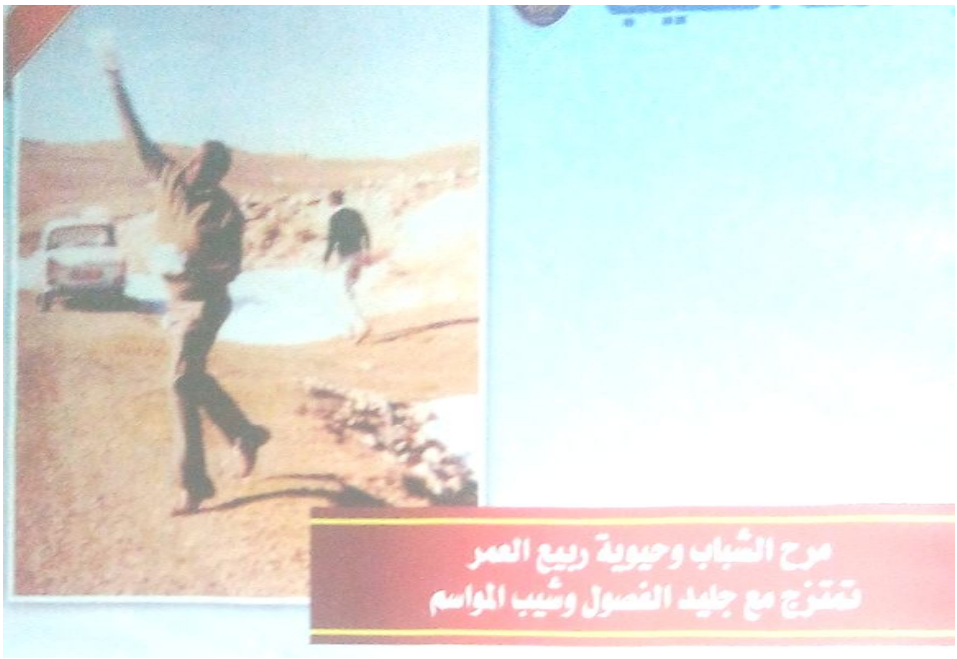
مرح الشباب وحيوية ربيع العمر
تمتزج مع جليد الفصول وشيب المواسم

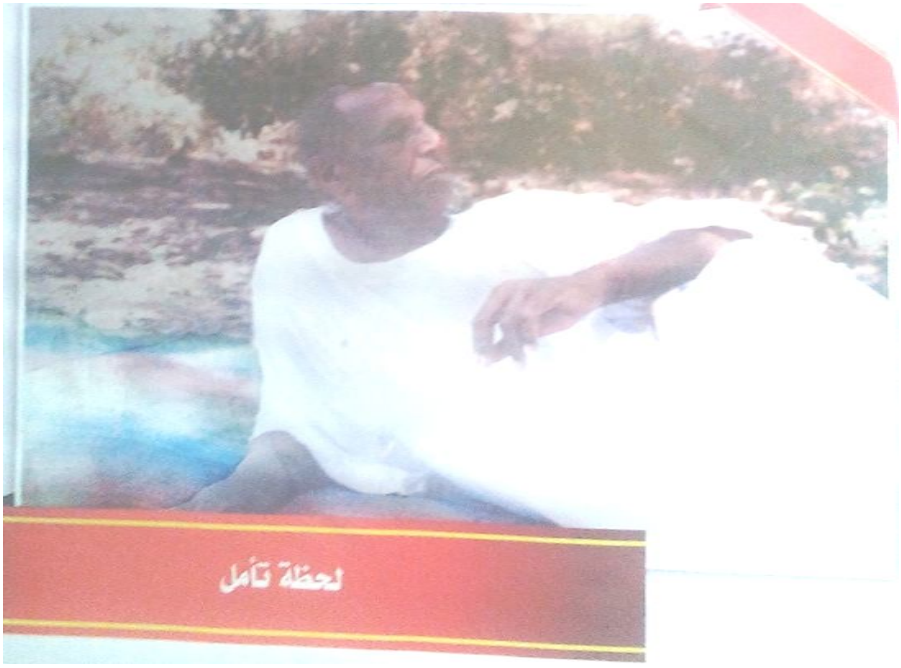

دكتور : صديق عمر صديق احد طلاب عبد الله الطيب

أيمن سلطان أحد طلاب الدكتور الصديق عمر الصديق